المرآة

سياسية . اقتصادية . اجتماعية . مستقلة

العدد الأول نوفمبر ٢٠١٤

العكيدي وعين العرب

العميد أديب الشلاف:

لن أقبل بمنصب وزير الداخلية إلا إذا كان مقرّ الوزارة في الداخل!

Christoph Reuter

Der Spiegel

Think Of All Syria

فكرو بكل سورية

هيذر لي... والآثار السورية

Published By :

South & North For Stratigic Studies

SNSS

Aleppo - syria

في هذا العدد:

05 استعصاء الحالة السورية

07 حوار ساخن مع العقيد عبد الجبار العكيدي

11 سورية ومحيطها أيهما يدور حول الآخر؟

13 أيها السوري فكر بسورية

16 THINK OF ALL SYRIA

17 لماذا فشلنا ونجح الأسد والبغدادي؟

20 سوريون بين مخالب الثعلب وفكي الأسد

23 التقرير الخاص بمقتل آلاف المعتقلين في سجون الأسد

27 من ولماذا قُتل الناشط الحقوقي نزار رستناوي في سجن صيدنايا؟

30 حرائر سورية والحرب

33 ما مدى التنسيق في وحدة تنسيق الدعم؟

36 لقاء مع العميد أديب الشلاف قائد الشرطة الحرة

40 أزمة تراث في سورية: نداءٌ لإيقاف تجارة الآثار

43 شعر: حرب حرب حرب

44 قصة قصيرة: نهاية مطبخ

46 نص: سأحبّك من تحت التراب

47 التشكيلي منيف عجاج وألق الديكتاتور!

50 لوحة فنية : Tears Of Blood

51 الدراما السورية دراما المستوى الأول.. المستوى السطحي

52 اختطاف الأجانب هل هو للحصول على فدية أم لسبب آخر؟

53 منع عرض فيلم "سماء مفتوحة" في مهرجان ميانمار

54 صفحة حرة

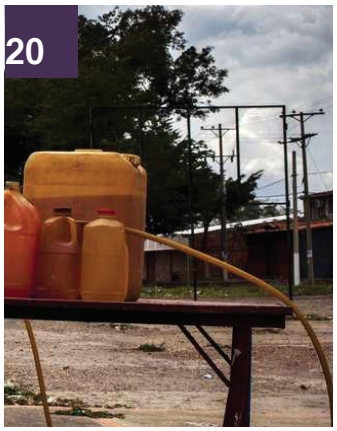

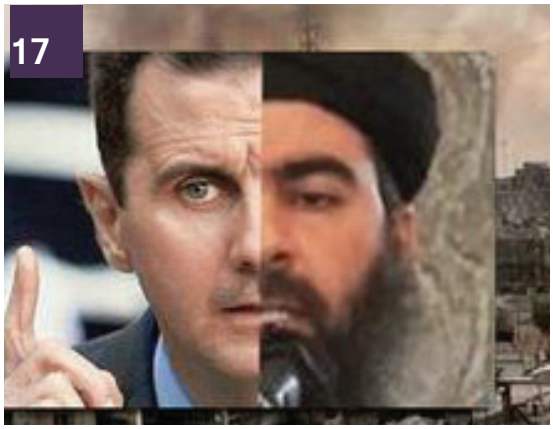

المرآة

The Mirror
Monthly Political & News Magazine

مجلة شهرية مستقلة

تصدر عن دار الشمال والجنوب للدراسات الاستراتيجية
سوريا - حلب

هيئة التحرير

رئيس التحرير والمدير المسؤول:

ياسر الحجي

مدير التحرير:

د. علي حافظ

المترجم و سكرتير التحرير:

محمد الموسى

المدقق اللغوي: بشير الحجي

الإخراج الفني: ابراهيم جودت

للتواصل

www.mirror-sy.net

article@mirror-sy.net

00905355891303

00905456742119

Published By :

South & North For Stratigic Studies
SNSS
Aleppo - syria

المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يصلها من مواد؛ والمواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير .

الافتتاحية

بقلم رئيس التحرير

الإعلام والدكتاتورية

إنَّ كلَّ دكتاتورياتِ العالم تعرف قيمة الإعلام وفاعليتَه في تغيير حياة الشعوب، لذلك سيطرت عليه بشكلٍ كامل، وفق منهجٍ مدروس يفي بمصالح الأنظمة الحاكمة فقط. وقد لعب الإعلام دوراً مهمّاً في كل الثورات والحروب. وفي سورية لم يختلف الوضع عما هو عليه في باقي دول العالم المحكومةِ من قبل دكتاتور؛ إذ جنَّد النظام ما يفوق خمسةَ آلافِ متفرغٍ للإعلام، وبثَّ الشائعات، ودفع ملايين الدولارات للشركات الأجنبية المختصة بتزويرِ الحقائق من أجل تحسين صورته أمامَ الرأي العام العالمي... بينما اعتمد إعلامُ الثورة على هواةٍ غير مؤهلين، ولا يملكون الأدوات اللازمة للقيام بعملهم. وقد بذلوا برغم ذلك جهوداً جبّارة، وقد استشهد الكثير منهم كي يُظهِروا الحقيقة؛ وقد ساعد هذا التفاوت في العدد والعدة النظامَ على تغيير الحقائق، وبالتالي الإبقاءَ على الكثير من المؤيدين، وحتى إدخالهم في المعارك.

وما حدث في الحرب العالمية الثانية دليلٌ على أهمية الإعلام البالغة، فقد ضربت أمريكا نغازاكي وهوريشيما بالقنبلتين النوويتين الوحيدتين اللتين كانت تملكهما حينذاك، وبثَّت شائعاتٍ توحي بأنَّ لديها أعداداً كبيرة منها، ممّا أثَّر كثيراً على اليابانيين وقرَّروا الاستسلام. ولو عرف اليابانيون الحقيقة لاختلفت الأمورُ كلياً في تلك الحرب!

ومن منطلق إيماننا بالإعلام الحرّ ودوره في تطويرِ الدولة والمجتمع عن طريق المراقبة والنقد البناء، قمنا بإصدار هذه المجلة. وهي محاولة بسيطة للمساهمة في نشر الوعي والحقيقة، وفتح المجال أمام كلّ من لديه الإمكانات والمهارات الصحفية أن يُظهرها، دون التفكير بمقصّ الرقيب أو برجل المخابراتِ الذي سيستدعيه.

والله ولي التوفيق...

Freeom
SYRIA PEOPLE
BLOOD CHAOS
TERRORESIM REVELUTION
FREEDOM EXPRISION DICTATORSHIP VIOLANCE PEACE
NO DIALOGUE HUMAN RIGHTS Freeom SYRIA PEOPLE
BLOOD CHAOS TERRORESIM RETALIATION REVELUTION
FREEDOM EXPRISION DICTATORSHIP VIOLANCE PEACE
NO DIALOGUE HUMAN RIGHTS DREAM DEATH PEACE NO
DIALOGUE SYRIA

استعصاء الحالة السورية

بقلم مدير التحرير

PEOPLE BLOOD CHAOS TERRORESIM
RETALIATION REVELUTION FREEDOM EXPRISION
DICTATORSHIP VIOLANCE PEACE NO DIALOGUE
HUMAN RIGHTS DREAM DEATHPEACE
NO DIALOGUE HUMAN RIGHTS
Freeom SYRIA PEOPLE BLOOD CHAOS
TERRORESIM RETALIATION
REVELUTION FREEDOM EXPRISION
DICTATORSHIP VIOLANCE
PEACE NO DIALOGUE
HUMAN

لا شكَّ أنَّ ضرباتِ التحالف الدولي الجوية والصاروخية لـ "داعش" وبعض التنظيمات الأخرى تشغل بالَ الجميع اليوم، ليس في سورية والمنطقة فحسب، بل في كلِّ أنحاء العالم.

هذه الضرباتُ الموجهة ضدَّ ما يُوصف بالإرهاب، من المفروض أن توجّه إلى جميع مظاهره وأشكاله وألوانه وليس إلى طرفٍ دون آخر؛ بما في ذلك الأسدُ الذي انتهجَ طوال سنواتِ الثورة السورية بل وقبلها إرهابَ الدولة المنظم، ما خلَّف نتائجَ كارثية على المستويين الداخلي والإقليمي؛ فقد قتلَ واعتقل مئاتِ الآلاف من السوريين، ودمّرَ نصفَ بلدهم تقريباً، وأجبرَ الملايين على النزوح إلى دول الجوار، ليشكّلوا عبئاً ثقيلاً على تلك الدول وعلى منظماتِ وجمعيات الإغاثة الدولية.. كذلك يجب أن يطالَ الميليشيات الطائفيةِ – اللبنانية والعراقية والأفغانية... – المقاتلةِ إلى جانبه، والتي قامت بانتهاكات ومجازرَ مروعة ضدَّ السوريين في جميع مناطق تواجدها، بحجّة حمايةِ المقدّسات أو المناطق ذات الأغلبية الشيعية؛ وهي تصنَّف ضمن التشكيلاتِ الإرهابية العابرة للحدود، ولا تقلُّ بإجرامها عن إجرام "داعش"!

الضرباتُ التي لم تُعرف أبعادها ومساحاتها وأهدافُها حتى الآن، وفي مصلحة من ستصبُّ في النهاية، جعلت الشعب السوري حائراً بطرفيهِ الثائر والمؤيّد. وهذا طبيعيٌّ لأنَّ المؤيدين لم يقدِّموا – ولن يستطيعوا تقديمَ – بديلٍ عن الأسد ونظامه المجرمين؛ والثوار – أيضاً – لم يقدِّموا بديلاً ثورياً مناسباً يستطيعُ حكم البلد والسيرَ بجميع مكوناتهِ الدينية والعرقية والمذهبية إلى برِّ الأمان.. إنّنا أمام فراغ جغرافي كبير، وحالةِ استعصاءٍ سورية صعبة جداً على الحلّ؛ بحيث لا يمكن تصوّرُ كيف ستؤول الأمور بعد تلك الضرباتِ الدولية!

عندما استخدمت قواتُ الأسد السلاحَ الكيماوي يوم الأربعاء (الحادي والعشرين من آب 2013) ضدَّ الغوطتين الشرقية والغربية بريف دمشق، وراح ضحيتها المئاتُ من سكان المنطقة المدنيين، بينهم عددٌ كبير من الأطفال، بسبب استنشاقهم لموادَّ سامةٍ ناتجةٍ عن الهجوم بغاز الأعصاب السارين، كانت هناك ردودُ فعلٍ عالمية قوية على هذا الهجومِ الغاشم؛ فقد صرَّح أوباما (أيلول 2013) أنَّ الضربةَ العسكرية ضدَّ نظام بشار الأسد "ستكون غداً أو بعد أسبوع أو بعد شهر"؛ واعتبر أنَّ مجزرة الكيماوي التي ارتكبها نظامُه هي الأسوأ في القرن الواحد والعشرين. وأضاف: "يجبُ على بلاده أن تتخذ إجراءاتٍ عسكريةً ضدَّ سورية". ربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية – حينها – على استعدادٍ لضرب دمشق ومعاقبةِ الأسد لردعه، حتى بدون غطاء أمميّ، نظراً لاحتمال استخدام كلٍّ من روسيا والصين حق النقض "الفيتو"؟! وفي السادس عشر من أيلول 2013 صدر تقريرُ لجنة التفتيش التابعةِ للأمم المتحدة الذي أشار إلى أن غاز السارين أُطلق بوساطة صواريخ أرض-أرض لا يملكها غيرُ الأسد. وفي تعليقه على التقرير قال بان كي مون: "إنّ الأسد ارتكب كثيراً من الجرائم ضدَّ الإنسانية". وأضاف أنَّه يجب محاسبتُه على جرائمه؛ لكن رغم ذلك لم تُنفذ

الضربة الأمريكية الموعودة ضدَّ هولاكو الشام، ولم يُعاقب كما وعد أوباما وغيره، بعد عقدِه صفقةً كان الرئيس الروسي بوتين ضامناً لها، تخلّى بموجبها عن سلاحه الكيماوي الأكثرَ خطورة، مقابل عدم ضربِ مواقعه العسكرية! تمَّ تمييع الأمر مباشرةً عندما بدأ الأسد بتسليم سلاحه الكيماويّ، ما دفع أوباما للتراجع والتصريح – بعد فترةٍ من الزمن – أن قدرة واشنطن على تسوية الصراع في سورية، بتشعباته وانعكاساته الطائفية والعرقية والإقليمية، محدودةٌ للغاية. أما رئيس هيئة أركانه فصرَّح بأنَّ تدخل واشنطن العسكريّ المباشر لن يخدم المصالح الأمريكية، لأن جزءاً كبيراً من المعارضة يتشكل من الفصائل المتشددة المتمتعة بثقلٍ عسكري كبير، ومن ثمَّ فلا يمكن خوضُ حربٍ ميدانية في سورية وتسليمها بعد ذلك لتنظيم القاعدة.

ربَّما كانت تلك الضربات، رداً على استخدام الأسد لأسلحة محرَّمةٍ دولياً، ستلاقي تأييداً شعبياً عارماً في الداخل والخارج، بسببِ هولِ الجريمة التي ارتكبتها قواتُه بشكلٍ مقصود ولعين في ساعة ضمنت إصابةَ أكبر عددٍ ممكن من الأشخاص؟ أما اليوم فهي لن تجد هذا التأييد، سّيما من قبل طيفٍ واسع من السوريين، حتى من المعارضين والمحاربين لـ "داعش"؛ إذا لم تقترن بضرباتٍ لمواقع الأسد العسكرية؛ لأنَّ أغلبهم يعتقدُ أنَّها ستعطي هذا الأخيرَ فرصةً جديدة لاستعادة المناطق التي خسرها، بعد أن يتفرغ لمحاربة الجيش الحرّ والفصائل الإسلامية الأخرى المقاتلة له، في حين ستلاحق الطائرات الدولية "داعش" في كلّ مكان...

في ذكرى الحادي عشرمن أيلول ألقى أوباما خطاباً من البيت الأبيض كشف فيه عن إستراتيجيته لمحاربة "داعش": "هدفنا واضح: سنضعفُ تنظيمَ داعش وندمّره في نهاية المطاف من خلال إستراتيجيةٍ شاملة ومتواصلة لمكافحة الإرهاب"؛ مؤكداً على ملاحقة متشددي التنظيم "أينما كانوا".. كذلك أضاف بأنّه سيقدم مساعداتٍ عسكرية إلى المعارضة السورية "لقد دعوت الكونغرس الليلة إلى إعطائي سلطاتٍ إضافية ومصادرَ من أجل تدريب وتسليح أولئك المقاتلين. ففي محاربة "داعش" لا يمكننا الاعتمادُ على نظام الأسد الذي يُرهب شعبه، فذلك النظام لن يستعيد الشرعية التي فقدها". وبعد أسبوع من بدء الولايات المتحدة، بمشاركة دول عربيةٍ، مهاجمةَ أهدافٍ لتنظيم الدولة في سورية، صرّحت السفيرة الأميركية في الأمم المتحدة ساماتنا باور للصحفيين بأن واشنطن ما زالت تعتقد أن نظام الأسد "جاذب للإرهاب"، وأن المعارضة المعتدلة تمثّل البديلَ الأفضل، وهي كذلك خير من يتصدّى لتنظيمِ الدولة. وأضافت أنّه "طيلة السنوات الماضية لم نرَ أيةَ جهود للنظام السوري لمجابهة مسلحي تنظيم الدولة، على عكس المعارضة" التي قدمت تضحياتٍ كبيرة في المعارك التي خاضتها وتخوضها اليوم ضدَّ التنظيم منذ بداية العام الحالي. لكن – حتى الآن – لم يتم التنسيق مع أحدٍ على الأرض؛ أضف إلى ذلك عدم وجود قوةٍ عسكرية معتدلة كبيرة، منظمة ومؤثرة ومنتشرة على جميع الأراضي السورية، يمكن التنسيق معها، وتستطيع القيامَ بهذه المهمة الصعبة للغاية!

ورغم تطمينات أوباما بأنَّه لن يكون هناك تدخلٌ عسكري للقوات البرية الدولية في سورية والعراق، وأنَّ الأمر سيقتصرُ على إرسال مستشارين عسكريين إضافيين، سيما من أجل مساعدة القواتِ العراقية، دون أن تكون لهم مهامُ قتالية؛ إلا أنَّ هذه الضربات الجوية والصاروخية الدولية لن تقدّم شيئاً جديداً في الحرب على تنظيم الدولة، إذا لم تتزامن بحظرٍ جويّ لطائراتِ الأسد – كما حدث في العراق وليبيا – وتترافق بحربٍ برية تقودها قوات مشاة خاصة مدربة تدريباً جيداً، تقوم على إنجاز العمل الأهمّ: مهاجمة عناصر التنظيم على الأرض وحصرُهم في مناطقَ معينة، ومن ثمَّ القضاء عليهم، وتحريرُتلك المناطق تحريراً كاملاً...

لم تعلن واشنطن رسمياً عن خططٍ لإطلاق المرحلة البرية من العملية ضد مسلحي التنظيم، لكنَّ الرئيس أوباما اعترفَ منذ أيام بأنَّ قياداتِه لم تُقدِّر هذه الجماعةَ الإرهابية حقَّ التقدير، كما أن الحديث عن إمكانياتِ الجيش العراقي في مواجهتها مبالغٌ فيها، لذلك ستستمر العملية في العراق وسورية ثلاثَ سنوات على الأقلّ بدلاً من بضعة أشهر، كما قيل في البداية.. هذا يدلُّ على أنَّ الأمور قد خرجت تماماً عن نطاقِ الشعب السوري وفصائله المقاتلة للتنظيم والأسد، وأنَّه لم يعد لقياداتِها وأفرادها أي دورٍ أو شأن في حلِّ أزمتهم المستفحلة.

***

في بعض الأمراضِ المستعصية على الشفاء بالأدوية يلجأ الأطباء إلى العمل الجراحي، الذي قد يؤدي أحياناً إلى موت المريض.. كذلك هناك بعض النزاعاتِ الداخلية والحروب المستعصيةِ على الحلّ – مثل الحرب السورية – تنطوي على عواقبَ وخيمةٍ إذا تفاقمت؛ وقد تؤدي في النهاية إلى سقوط الدولة وتفكّكها إلى دويلاتٍ وكنتونات متحاربة متصارعة إلى أجلٍ غير مسمى...

يعرف العالم بأسره حقيقةَ ما فعله الضباط والجنود الأسديين بنا؛ ونحن لا يمكننا أن ننسى يوماً ما حدث، إلا أنَّ اللامبالاة الدولية تجاه ما حدث ويحدث من حرب إبادةٍ جماعية لنا، وتدميرٍ شامل لبلادنا، وإهدارِ الوقت على المؤتمرات واللقاءات العقيمة بين ممثلي النظام والمعارضة، وإرجاء إسقاطِ الأسد، هو الذي أدى إلى ما نحن عليه من كوارثَ ومآسٍ؛ وبالتالي سيؤدي استمراره إلى انهيار بلادنا كلياً، وخسارةِ آلافِ السوريين لحياتهم وأحلامهم ووجودهم...

«حوار ساخن» مع العقيد عبد الجبار العكيدي

أجرى الحوار ياسر الحجي وعلي حافظ

ـ سيادة العقيد أين كنت وأين أنت الآن؟

ـ كنت في الثورة وما زلت في الثورة!

ـ البعض يتهمك أنك انسحبت من المجلس العسكري، وكان يحب عليك الاستمرار؟

ـ لا أبداً.. أنا استقلت من القيادة لأعطي درساً للسياسيين والعسكريين بأن هذا المنصب، وكلّ منصب، ليس حكراً على أشخاص معينين بعينهم.. سورية ولادة الأبطال، ولادة الكفاءات، ويجب أن نعطي الفرصة للآخرين حتى يمارسوا الدور، ويكون لهم التجربة.. كان هذا درساً للسياسيين الذين ما برحوا يتمسكون بالسلطة.. نحن أصلاً قمنا بهذه الثورة لأن بشار تمسك بالسلطة؛ لكن كثيراً ممن قاموا بهذه الثورة للأسف متمسكون، سواءً كانوا سياسيين أو قادة ألوية أو قادة مجالس. هذا شيء، وأردت أن ألعبَ أيضاً لأجل الاحتجاج على تخاذل المجتمع الدولي وعدم دعمه للثورة السورية، وأيضاً على المعارضة السورية التي هي في واد والثورة في وادٍ آخر، وتقريباً شبه نأت بنفسها عن كلِّ ما يحصل في الداخل، وانشغلت بمشاكلها الداخلية.

ـ الكل يعلم أنّ حلب في وضع حرج عسكرياً، وهناك جبهات ساخنة أخرى. لماذا قمتم بتشكيل قوة عسكرية للذهاب إلى عين العرب وعدم دعم تلك الجبهات الساخنة التي هي حالياً في تراجع؟

من قال إنّنا لم ندعم جبهات حلب؟ نحن متواجدون في حلب، ودعمنا جبهات حلب، وما زلنا ندعمها. ولكن عين العرب جزءٌ من حلب، وبالتالي أيضاً واجبٌ علينا دعمها. وهناك هدف استراتيجي بإرسال أيضاً رسالة إلى إخواننا الكرد بأنّهم جزءٌ من الشعب السوري ومكون أساسي، ولن نتخلّى عنهم، ولن نتركهم يواجهون مصيرهم الأسود مع عصابة البغدادي لوحدهم.

فهذا شيء مهم واستراتيجي، لكنَّ البعض لم يفهم هذا الموضوع، بالتوازي مع عملنا في جبهات حلب، وعدم تركنا لجبهاتها.

ـ بعض الفصائل نفت المشاركة أو إرسال قوات.. هل تمّ التنسيق مع هذه الفصائل؟ وهل كانت موجودة في الاجتماع التحضيري؟

نعم لقد تمّ التنسيق مع كل الفصائل التي ذكرتها أنا في البيان، وعلى الإعلام، ولكن بكل أسف، عندما شاهدوا ردةَ فعل الشارع، حين صُدم ولم يستوعب للوهلة الأولى ما هو البعد الاستراتيجي لما قمنا به، خافوا على ما يبدو، وأصدر قسمٌ منهم بعض التصريحات بأنهم لن يشاركوا، لكنهم جميعاً كانوا في الاتفاق والاجتماع، وأنا أتحمل هذه المسؤولية، لا بأس أتحمل ما قمتُ به لأني مقتنع بأنَّ ما قمت به سيخدم سورية وسيسجله التاريخ يوماً ما، وأنا سأتحمل كلَّ هذه المسؤولية.

ـ حبذا لو ذكرت أسماء الفصائل الموجودة قبل التصريح.

ـ حقيقةً بناء على رغبة هذه الفصائل لا أريد أن أذكرَ أسماءها، لكي لا تقع بحرجٍ مع أحد، قمنا بتسمية الحملة باسم الجيش الحر فقط، ونسأل الله أن تكون بداية لتوحيد كلِّ فصائل الجيش الحر تحت هذا المسمى قولاً وفعلاً وتنفيذاً.

ـ لكن ألا يجب أن يعلم الشعب من تواجد من هذه الفصائل، ومن ثم تراجع؟

لا بأس لا نريد أن نضع أحداً على المحك، أنا سأتحمل هذه المسؤولية كاملة، وسأتحمل العبء الكبير من قبل الناس، ولا بأس أن يكونوا بعيدين عن المهاترات والشتائم، سأتحملها أنا جميعاً.

ـ هل أراد العقيد عبد الجبار العكيدي العودة إلى الأضواء من خلال عين العرب؟

ـ أصلاً أنا لم أقصد الأضواء في يومٍ من الأيام، حتى عندما انشققتُ ودخلت مدينة حلب، وبدء التحرير مع الشهيد عبد القادر الصالح رحمه الله، لم تكن الغايةُ ولا الهدف الأضواء أو الإعلام، لكن هكذا شاءت الأقدار. ولكن دخولي إلى عين العرب لم يكن أبداً من أجل الأضواء، لأني لو أردت الأضواء لما استقلت من المجلس العسكري، ولما استقلت من المجلس العسكري الأعلى أيضاً. وبالتالي الأضواء يمكن أن يحصل عليها الإنسان في كل مكان، لكن أنا غامرت أصلاً بسمعتي، وقلت لكم عندما خرجت من الاجتماع بأنني ربما أخسر لمدةٍ قصيرة كلَّ ما بنيته خلال ثلاثِ سنوات من سمعة جيدة، ريثما يتفهم الجميع بأنَّ ما أقوم به هو شيء نبيل وعظيم، فهذه ليست عودةً للأضواء، هذه كانت بالنسبة لنظر البعض محرقة، وأنا قبلت بتحمل هذه المسؤولية!

ـ كثر الكلام أن العقيد أينما يذهب يأخذ معه كاميرا، فهو دائماً في الإعلام؟

ـ أولاً، أنتم تعلمون بشكل جيد أنه لا يوجد عندي في المكتب أي إعلامي، ولكن أينما أذهب يوجد إعلاميون، وبالتالي هم يصورون ويأخذون لقطات وتصاريح، لكن أصلاً أنا لا يوجد عندي مكتب إعلامي ولا أي إعلامي.

ـ سيادة العقيد أنت كنت في الحج، هل أجريت اتصالات مع مسؤولين سعوديين؟ وهل اختلفت طريقة تفكيرك قبل الحج وما بعده؟

ـ على الإطلاق لم ألتقِ بأي مسؤول سعودي، وأنا أقول هذا الكلام والله شهيدٌ على ما أقول، لم ألتق بأي مسؤول سعودي سوى من هم من وزارة الحج، الذين كانوا موجودين، أو عناصر شرطة الهجرة الذين التقينا بهم في المطار، مثلي مثل كلّ الحجيج الآخرين.

ـ بالنظر إلى واقع الجيش الحر نجد مشاكل كثيرة يعاني منها هذا الجيش، وإحدى هذه المشاكل هي عدم انخراط الضباط المنشقين في الجبهات، هل هناك تصور مستقبلي لما يمكن فعله لتعزيز الجبهات بالضباط؟

ـ حقيقةً نتمنى على كل الضباط أن يكونوا موجودين، نتمنى على كل إخوتنا الضباط الموجودين في الخارج، وربما القسمُ الأكبر منهم موجود قسراً عنه، وربما الكثير منهم يحترق من الداخل لعدم استطاعته أن يناصرَ أهله وأن يكون موجوداً على جبهات القتال.. الظروف صعبة جداً، هناك ـ حقيقة ـ مفارقاتٌ كبيرة وهناك تجاذبات كثيرة بين المدنيين والعسكريين، نتمنى من الضباط أن يكونوا موجودين مع إخوتهم الثوار للاستفادة من خبرتهم القتالية وخبرتهم العسكرية التكتيكية، وأن يتفقوا ويتنازلوا لبعضهم البعض، لأننا في النهاية كلنا سوريون، وعدونا واحد يتربص بنا الدوائر في كل مكان.

ـ هل هناك تخطيط لتشكيل هيئة الضباط الأحرار، أو تجمع أو تكاتف للضباط مع بعضهم بعضاً؟

ـ حقيقةً نفكر في هذا الموضوع، نفكر بلم شمل كل هؤلاء الضباط، لكن هذا الموضوع يحتاج إلى إمكانياتٍ كبيرة.. نسأل الله أن يُتِمَّ هذا الموضوع.

ـ بالنسبة للجيش الحر، هل هناك تخطيط جديد أو إعادة بناء الجيش الحر من جديد؟

ـ نسأل الله أن يكون ذلك. هناك أفكار كثيرة بهذا الخصوص، وكثيرٌ من الناس يتعاونون، ونعمل نحن وإياهم لتوحيد الجيش الحر، على أقلِّ ما يمكن مبدئياً ضمن غرف عمليات من أجل معالجة الأزمات الطارئة.

ـ لقد تم الإعلان بالفترة الأخيرة عن تدريب مجموعات مؤلفة من 5000 عنصر من الجيش الحر، هل تراها خطوة مجدية؟ ما رأيك بذلك؟

ـ في الحقيقة لا أدري بها، سمعت عنها في الإعلام فقط، لكن بالتأكيد شيء جيد أن يكون لدينا جيش مدرب وقوات مدربة، لديها خبرات قتالية لمواجهة هذا النظام المجرم.

ـ سيادة العقيد لدينا أعداد كافية من المقاتلين في جبهات حلب، لكن تشكو هذه الجبهات من غياب القيادات العسكرية الفاعلة أو الخبيرة، لماذا لا تعود إلى الجبهات؟

أنا لم أغادر الجبهات أصلاً، لكنني تركت

الصورة في عين العرب

القيادة في الحقيقة.. لم يكن هناك أية إمكانات، أنا أفضّل أن أكون مقاتلاً في جبهات حلب على أن أكون قائداً؛ القيادة تحتاج إلى مقومات إلى دعم.. عندما تكون قائداً أنت مسؤول عن كلّ المقاتلين، عن دعمهم، عن إطعامهم عن سلاحهم وذخيرتهم... كل هذه الأشياء غير متوافرة، فكيف أستطيع أن أكون قائداً ولا يتوافر لدي أيّ من هذه المقومات والدعم؟

ـ ما هو سبب ابتعاد الضباط المنشقين عن الجبهات؟

لا أبداً، أنتم تعرفون مقري وهو على بعد 100 متر عن تمركز قوات النظام في حلب، ولم أبتعد عن الجبهات، لكنَّ الأمر أصبح إفرادياً كلّ تشكيل يأخذ دعمه لوحده، وبالتالي ليس بحاجةِ أحد، وليس بحاجةٍ إلى قائد حتى إن القادة لديه من التشكيل نفسه. ولكن أنا مستعد، وجاهز أن أكون في أية جبهة لأتحمل مسؤوليتي أمام الله وأمام الدفاع عن بلدي.

ـ هل قام التحالف بالتنسيق معكم من أجل ضرب من يسميهم الإرهابيين في سورية بأيّ شكل من الأشكال؟

ـ حتى الآن لم يتم التنسيق.

ـ هل تريدون التنسيق؟

ـ بالتأكيد، نحن نطلب التنسيق ومساعدة المجتمع الدولي في حربنا ضد النظام أولاً وأولاً وأولاً، ومن بعدها ضدَّ الإرهاب المتمثل بتنظيم الدولة.

ـ كثر الكلام عن علاقة العقيد عبد الجبار أو مدحه لفصائل إسلامية متشددة أو متطرفة، ما حقيقة ذلك؟

ـ لا أبداً، الحقيقة إنَّ بعض المسيئين أرادوا دائماً أن يظهروا في فيديوهات بأنني يوماً ما ظهرت بمقابلة مدحت تنظيم الدولة، كان هذا في 14/11/2013 مع قناة الأورينت. في ذلك الوقت لم يكن هناك أي مشاكل مع التنظيم، كان فصيلاً موجوداً على الأرض لا يقاتل النظام كثيراً، ولكنه لم يُكفِّر أحداً، ولم يعتدِ على الجيش الحر، ولم يكن هناك مشاكل. وبالتالي كان واجباً علي كقائد مجلس عسكري المحافظة على توازن كلّ القوى في البلد. أما بقية الفصائل الإسلامية فليس لها مشاكل نهائياً مع الجيش الحر، وبالتالي هم موجودون معنا في جبهات القتال، إن كانوا جبهة نصرة، أو أنصار الدين، أو أحرار الشام... كلهم موجودون معنا في جبهات القتال، يقاتلون النظام ويقارعونه معنا.

ـ في الفترة الأخيرة نلاحظ تحول العكيدي نحو السياسة قليلاً، هل هو تحول نهائي يا ترى؟

بالتأكيد ليس تحولاً نهائياً، أنا منذ البداية، منذ دخول مدينة حلب كنت أمارس السياسة، القائد يحتاج أن يكون سياسياً حتى لو كان قائداً عسكرياً، نحن في ثورة، أنا لست قائداً عسكرياً فقط أنا قائد ثوري؛ كنت قائداً لمجلس عسكري، وهذا يحتاج إلى السياسة أكثر من العسكرة، خاصةً في ظلِّ غياب السلطة الحقيقية على كلِّ المقاتلين.. أنت ليس لديك أيّة سلطة سوى السلطة الأخلاقية، سوى السلطة السياسية والدبلوماسية حتى تستطيع جذب كل المقاتلين والسيطرة عليهم إلى حدٍّ ما، وتوجيههم من خلال إتباع الحنكة السياسية معهم.

ـ نلاحظ أنّه بالإضافة إلى تشرذم الفصائل العسكرية الثورية، كذلك هناك أيضاً نوع من الفرقة بين الضباط المنشقين، فهم لا يعملون ولا يتعاونون مع بعضهم البعض، لماذا؟

ـ في الحقيقة الأمر كبير جداً، وهو أكبر مني ومن رياض الأسعد وبقية الضباط وقيادات الجيش الحرّ والأركان.. هناك قوى عالمية وقوى إقليمية تسعى دائماً إلى شرذمة كلّ المعارضة، إن كانت سياسية أو عسكرية، إن كانوا ضباطاً أو ثوريين.. الموضوع كبير جداً، هناك أيضاً التحكم بمصادر الدعم والمال.. كل هذه الأسباب ـ في الحقيقة ـ أطالت من عمر الثورة، وجعلت هذا التشرذم كبيراً بين قوى المعارضة، السياسية والعسكرية.

ـ التمويل هو السبب؟

ـ تماماً، التمويل هو الأساس، بالإضافة إلى الجهل، فنحن لخمسين عاماً مغيبون عن كلّ شيء. هناك تصحّر سياسي، حتى العسكريون لم يكن لديهم دور قيادي في الجيش، كونه كان طائفياً بامتياز والمناصب القيادية كانت لطائفةٍ معينة، بالإضافة إلى الثوار وبعض القادة الذين انطلقوا منذ البداية وضحّوا بكل شيء، والذين لم يعد لديهم استعداد لتقبل الآخر، الذي جاء متأخراً من الضباط أو غيرهم، دون أن يكون لديه أية إمكانات مادية؛ لو كان لديه إمكانات مادية لقبلوه بالتأكيد.

ـ الائتلاف هو الجهة السياسية الوحيدة المعترف عليها دولياً، وقامت مؤخراً بتشكيل حكومة، هل ترى أن الخلاف مع هاتين المؤسستين، واللتين من المفترض أنهما تمثلان الشعب السوري، هو في صالح الثورة؟

ـ لا بكل تأكيد، نحن لا نريد الخلاف معهم، ونحن قلنا من البداية "المجلس الوطني يمثلني"؛ وكان هناك جمعة بهذا الاسم. ولما شُكل الائتلاف قلنا إن الائتلاف يمثلنا، وهو الواجهة السياسية للثورة السورية ونحن معه؛ ولكن حقيقة هو ابتعد عن الثورة. نحن لا نتمنى أن يكون هناك خلاف، نتمنى أن يكون بيننا وبينهم لقاء، وأن يكونوا جزءاً من هذه الثورة، ويتعاونوا معنا وينزلوا إلى الداخل.. طيب رئيس الائتلاف لم ينزل مرة واحدة إلى الداخل، ورئيس الحكومة التي لها سنة مشكلة لم يدخل الأراضي

السورية شبراً واحداً؛ فكيف يكون هؤلاء معارضة؟

لديهم تواصل مع القوى، وهم لا يدخلون إلى الداخل نهائياً، ليس لدينا اعتراض عليهم كأشخاص، ولكن نحن نتمنى أن يكون هذا الجسم جسماً فاعلاً حقيقياً مؤثراً في هذه الثورة، ويكون معنا بشكل دائم، ويتواصل معنا يومياً، يسألنا عن جبهاتنا، يسألنا عن معاناتنا، يسألنا ماذا نحتاج، يسألنا في هذه الحالة عندما يكون الأمر بهذا الشكل. نحن أيضاً سنتواصل معه ونسأله عن أي موقف سياسي يمكن أن نتخذه، ونتشاور معه؛ ولكن بعده عنا جعلنا نبتعد عنه.

ـ هناك أمر سيادة العقيد، نحن خرجنا من أجل الكرامة والحرية، لاسيما حرية التعبير، اتضح بعد مسيرة الثورة أن أي إنسان يُصرّح برأي مخالف يتحول فجأة من خانة البطل إلى خانة أخرى، حتى إنه يوصف أحياناً بالخيانة!

ـ أولاً إفساد النظام لهذا المجتمع خلال فترة الخمسين عام.. لقد أفسد الدين، أفسد الخلق، أفسد القيم، أفسد المجتمع، أفسد كل شيء.. أنا أقول دائماً نحن نقاتل النظام، لكننا نقاتله بعقليته ذاتها.. هذه هي المشكلة الحقيقية التي أخرت النصر؛ لم نتمثل أخلاق الثورة التي قمنا من أجلها في البداية، بقينا نقوم بالممارسات ذاتها التي يستخدمها النظام، في كثير من الأحيان نمارس نفس سلوك النظام في مقارعة النظام، وبالتالي الموضوع يحتاج إلى وقت. موضوع حرية التعبير، وعدم الاعتراض، والاختلاف بالرأي لا يفسد للود قضية، هذا حقيقة تحتاج إلى وقت وثقافة متواصلة.. الأمر ليس سهلاً.

ـ هل السبب برأيك غياب الفكر عن الثورة أو غياب المثقفين؟

بالتأكيد هذا له دور كبير، حتى المثقفون لم تنضج لديهم هذه الحرية وهذا التعبير وهذا الفكر.. عندما أختلف معك يجب ألا أعاديك، لأنني يجب أن أضحي من أجل أن أدافع عن فكرتك، حتى لو كانت مختلفة عن فكرتي.

ـ هل هذا الاختلاف متواجد من قبل أم مستورد؟

ـ بالتأكيد هناك ما هو مستورد!

ـ الإنسان قد يصرح برأي، وبعد هذا التصريح يصبح عدواً ومحارباً من قبل أشخاص عديدين. مثلاً لاحظنا مؤخراً انتشار هذه الظاهرة، لاسيما في شبكة التواصل الاجتماعي، فقد وصلت إلى مرحلة لم نعد نستطيع التكلم فيها بحرية.

ـ هذا أمر طبيعي.. هناك أمر مهم علينا أن نذكره، موضوع التخوين، وموضوع وسائل التواصل الاجتماعي بالتحديد، وهذا ما حدث في الأسبوع الماضي في الحملة التي شُنت علي، وأظنكم تلمحون إلى ذلك.. هناك جيش يطلق عليه "الجيش الإلكتروني"؛ وهو عبارة عن عشرات الآلاف من الناشطين الذين يعملون فيه بتوصية من النظام.. اجتمعوا مع علي مملوك ولونا الشبل وأعطوهم توجيهات وتعليمات وأسماء قيادات من الجيش الحر لتشويه سمعتها، ومن ضمنهم أنا؛ هؤلاء اشتغلوا على هذا الموضوع كثيراً، وهم جميعاً يحملون أسماء ثورية، ويضعون أعلام الثورة، وأعلام جبهة النصرة والقاعدة، ويدعون أنهم ثوريون؛ وهم حقيقة أعلام النظام وجيش إلكتروني يقاتل معه.. في الحقيقة هذا الموضوع ممنهج تماماً ومشغول عليه جيداً.

ـ خطوة العكيدي التي أُطلق عليها" الطريق إلى كوباني" كان قبلها خطوة أخرى وهي زيارتك إلى عفرين، هل هناك رابط بين الزيارتين؟

لا حقيقة، لم يكن وارد موضوع عين العرب، زيارتي إلى عفرين هي زيارة مدينة سورية تتبع إلى حلب. إني أستغرب من استهجن زيارتي إلى عفرين وكأني زرت تل أبيب؛ إن عفرين مدينة سورية تتبع لمحافظة حلب. لماذا نعادي هؤلاء؟ لماذا نترك المكون الكردي السوري المسلم الطيب؟ لماذا نترك لحزب معين أن يخطف هذا المكون بكامله؟ حتى هذا الحزب، لماذا نحن ابتعدنا عنه حتى استطاع النظام أن يتعاون معه ويحتويه؟ لماذا لا نحتويه نحن؟

ـ هل سببه غياب الفكر السياسي؟

بغياب فكرنا السياسي نحن حولناه إلى عدو لنا. إذا عاد هذا الفصيل إلى رشده واعترف بسوريته، واعترف أنه جزء من الثورة وتعامل مع المكون الكردي بشكل جيد، لماذا نجعله عدو لنا؟ نحن ابتعدنا عن كل المكونات الأخرى، وتركنا الساحة لبشار الأسد ونظامه المجرم، ليدعي أنه حامي الأقليات وبأننا نحن من يقتل الأقليات.غياب السياسيين والمعارضة السياسية الحقيقية ـ بكل أسف ـ جعل منا نحن العسكريين، وقد سألتني عن هذا سابقاً، سياسيين. هذه الخطوة التي قمت بها إلى عين العرب هي خطوة سياسية أكثر مما هي عسكرية، لكن كان يجب من أول يوم دخلت فيه "داعش "إلى عين العرب كان يجب أن تتداعى وبسرعة القيادة السياسية وقيادة المعارضة والائتلاف وتجتمع مع القوى العسكرية، وتطلب منها أن نشكل قوة لدعم عين العرب، لكن بكل أسف انتظرنا عليهم أكثر من 40 يوماً، ولم يكلفوا حتى خاطرهم باتصال واحد من أجل هذا الموضوع، فقررنا أن نكون سياسيين وعسكريين في آن واحد.

ـ كيف ترى مستقبل سورية السياسي؟

مهما كان هذا المستقبل، فإنه سيكون أفضل بكثير مما عليه في ظلّ النظام الطائفي الحالي لبشار الأسد.

ـ إذن، هل تتصور أنه ستجري انتخابات حرة وديمقراطية في سورية؟ هل صناديق الاقتراع هي من سيتحكم بمستقبل سورية؟

ـ إن شاء الله.. هذا ما نصبوا إليه، وهذا ما نتمنى أن نحصل على دولة مدنية تكون فيها كرامة وحرية الإنسان هي الأهم، وأن يكون فيها عدل ومساواة، وتحتضن كل مكونات المجتمع السوري، وبالوقت ذاته يجب محاسبة كل من تلطخت يداه بالدم السوري من أي طائفة كان، فثورتنا ليست طائفية، وليست مشكلتنا مع طائفة معينة.. هذا النظام المجرم يستخدم كل القذرين من كل الطوائف.

ـ خلال 4 سنوات حدثت تغيرات في بنية المجتمع السوري، فقد أصبح أكثر تديناً، هل ترى هذا الأمر سيكون مؤثراً على مستقبل العلاقات بين الطوائف في سورية، وكذلك على دستور البلاد القادم؟

لا أبداً،الشعب السوري أصلاً متدين، ولكن متدين دون أن يقصي الآخر، دون أن ينفي الآخر أو يكره الآخر، هو يحب الآخر.. نحن شعب سوري سني في سورية، ولكن كلنا لدينا علاقات مع المسيحي والأرمني والدرزي والشيعي والعلوي ومع الجميع.. لنا علاقات جيدة ولا نكره أحداً، وبالتالي هذا لا يؤثر، على العكس نتمنى أن يعود الجميع إلى الدين الحقيقي الصحيح، لأن الدين هو الأخلاق، وهو محبة الناس، وهو السلام.. ديننا هو الإسلام، وبالتالي هو السلام لكل الناس، ونتمنى أن نعود إلى الدين الإسلامي الحقيقي، الذي لا غلو فيه ولا تطرف...

سورية ومحيطها
إلى أين يدور حول الآخر؟

بقلم جان دارك

بعيداً عن الرؤى العاطفيّةِ التي اتسمت بها القضيةُ السوريةُ بفعلِ شحنات الإجرامِ التي لا يصدّقُها إلا من عاشَها، وبغضّ النظرِ عن الطريقة التي استطاع النظامُ وحلفاؤه انتهاجَها لتحويلِ القضيّةِ السوريّةِ إلى مرضٍ مزمنٍ ومستعصٍ، علينا أن نُمعنَ النظرَ في أشياءَ عديدةٍ لنتمكنَ من الحكمِ بطريقةٍ أقربَ إلى الصوابِ حيالَ أعقدِ الثوراتِ العربيةِ وأبعثُها على الحيرة لدى المحلّلين.

إنَّ أولَ الأمورِ التي يجبُ علينا إدراكُها هو فهمُنا لعمودِ الدولةِ السوريّة، ذلك الكيانُ الأمنيُّ الذي تمتَّعت به السلطةُ الأسديّةُ، هو أساسُ وجودِها، ومرتبطٌ بكياناتٍ أمنيَّةٍ إقليميةٍ أخرى تُحافظُ على مصالحِها مِن خلالِه. وذلك هو المبرّرُ الوحيدُ لتجوالِ ميليشياتِ حلفاءِ الأسد في سوريّة وتصرُّفِهم في البلدِ كأنَّها بلدُهُم!

الكيانُ الأمنيُّ السوريُّ كيانٌ متطورٌ وذكيّ هدفُه الأوّلُ والأخيرُ المحافظةُ على وجوده، على خلافِ كياناتِ الدولةِ الأخرى، وهو الذي يُملي على الأسدِ الطرقَ التي إذا انتهجها سيبقى رئيساً. فكلُّ الملفَّاتِ المتعلقةِ بالإنسانِ السوريّ، بدءاً مِن قسائمِ الموادِّ الغذائيةِ المدعومة، إلى التعليمِ والخدماتِ والصحةِ والاقتصاد والتجارةِ والصناعة والزراعةِ، مِن أعلى الهرمِ إلى أسفلِه، خاضعةٌ لتدقيقٍ شاملٍ مِن هذا الجهاز. فهو يعلمُ متى يغضبُ السوريّ، وكيف يغضبُ، ولماذا يُطلقُ غضبَه، وكيف يمكنُ كسرُهُ هو وغضبُه.. نعم، إنَّ أجهزةَ الاستخباراتِ والأمنِ السياسيّ وأمنِ الدولةِ موجودةٌ لدى العالمِ المتحضرِ والمتخلفِ على حدٍ سواء، لكنَّ وجودَها في العالمِ المتحضرِ مرهونٌ بكفاءتِه في الحفاظِ على نمطِ الحياةِ الغربيّ المبنيّ على الحريةِ في كلِّ

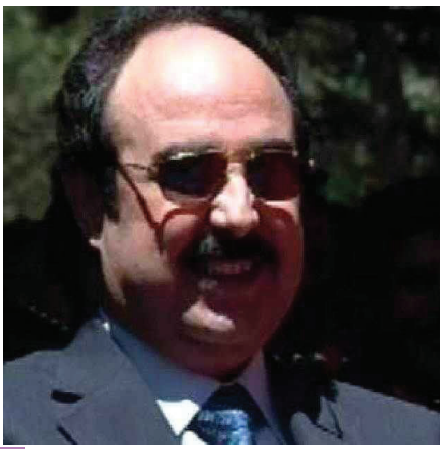

الظروف، أمّا في عالمِنا المتخلِّفِ هذا، فالسببُ الوحيدُ لتسلط هذه الأجهزة وتضخمها وهيمنتها على أنفاسِ الجميعِ هو الحفاظُ على دولةِ الفرد، سواءً أكان أسدياً أم سيسياً أم هاشمياً أم سعودياً...

ما الذي فعلَه الجهازُ الأمنيُّ في سوريّة؟

يكفي ذكرُ بعضِ الأمورِ ليكونَ الإنسانُ على بيّنةٍ ممّا نتحدثُ عنه، فمنذ بدأتِ الثورةُ أخرجَت هذه الأجهزةُ عتاةَ قادةِ الجماعاتِ الجهاديّةِ مِن السجون، فانطلقوا ليُؤسِّسُوا ميليشياتٍ ظنّاً منهم أنَّهم سيؤذونَ النظامَ في قلبه وسَيُسقِطونَه لا محالةَ، آخذينَ بعينِ الاعتبارِ عملياتِ غسيلِ الأدمغةِ التي تجري داخلَ السجونِ، وكيف يّةِ تسهيلِ تطرُّفِهم، ليخرجوا يائسينَ وساعينَ للانتقامِ دونَ رحمةٍ ومِن كلِّ من يعترضُ طريقَهم، وهم لا يعلمون، ولا كلُّ الجماعات التي انشقَت عن الجيش، والتي نشأت في المدنِ التي اعتدى عليها الأسدُ لتقاومَ قتلَه الأعمى، أنَّهم ليسوا سوى وقودٍ للحربِ التي أرادتها تلك الأجهزة الأمنيّة التي ينسقون معها. وما تغاضي حكومةِ النظام السوريّ عن دخولِ وخروجِ الجهاديّين القادمينَ مِن بلاد المغربِ أو أوربا، إلّا لأنَّ هناك إرادةً إقليميّة تسعى لامتصاصِ كلِّ الجماعاتِ في سوريّة وغربِ العراقِ تمهيداً لشيءٍ ما في المستقبل. حينما وصلتِ الأمورُ إلى سورية إبانَ الربيعِ العربي، بدأت مرحلةٌ شرقُ أوسطيةٍ جديدة، اتضحَ فيها متانةُ الجهاز الأمنيّ السوريّ، وأحاديةُ الخيارِ العسكريّ مِن اللحظاتِ الأولى، متماشيةً مع دعايةٍ إعلاميةٍ تصِمُ الثوارَ بالإرهابيّين وتتحدثُ عن أفغانَ وشيشانَ يشاركونَ في عملياتِ قتلٍ وذبح، علماً أنَّ الثورةَ كانت في أيامها الأولى ولم يكن هناك عسكرةٌ لها مطلقاً. وكأنَّهم – أي الإعلاميّين الرسميّين في سوريّة – كانوا في تلكَ الفترةِ يضعونَ (سيناريو) لما سيحدثُ مستقبلاً، وهم غيرُ مهيئين مِن تلقاءِ أنفسهم ليبثُّوا هذه الشائعاتِ و"الأكاذيب سابقاً والحقيقية الآن"، بل هي تُملى عليهم مِن الأجهزة الأمنيّة لشيطنةِ الثوارِ شعبياً مِن جهة، والضغطِ على كلِّ المعارضين مِن جهةٍ أخرى، مِن كلِّ النواحي، واختطافِ الناسِ ناشطين أو غير ناشطين، وتحريضِ المجرمين – الذين خرجوا بعفوٍ رئاسيٍّ استثنى معتقلي الرأي – على طلب فِدىً بمبالغَ خياليّةٍ، فباتت سوريّةُ ساحةً للشيطان لا داعي له أن يبثَّ وساوِسَه، بل لعلَّه يتعلمُ مما تفوقَ فيه عليه أخوه الإنسان!

ولكن، حينما نشملُ نظرتَنا المنطقةَ بأسرها، نجدُ أنَّ القوى الإقليميةَ قد تورطت في سورية – إيران، تركيا، الأردنّ، قطر، السع ودية – وبعضها أرسلَ ميليشيات، أو موَّل أمراءَ حربٍ سوريّين، أو استقبلَ لاجئين، وبالتالي تعدَّدَت الواجهةُ السياسيةُ لكلا الطرفين – النظام والمعارضة – ما اضطرَّها للدفعِ وإنهاكِ سمعتِها في إطارِ دعمها هذا، واختبارِ دبلوماسيتها التي تكادُ تسقط. لعلَّ الأمرَ يكمنُ في وهنِ البنى السياسيةِ

العربيّةِ خصوصاً، ومعاناةِ إيرانَ مِن عزلةٍ دوليةٍ تسعى مِن خلالِ سورية والعراق وغيرهما أن تديرَ ملفَها وتحافظُ على مصالِحها الثقافيّةِ والاقتصادية والسياسيةِ، لكنّه أيضاً يكمنُ في أهميةِ موقعِ سوريَّةَ الاستراتيجيّ للجميع.

حتى الولاياتُ المتحدةُ برهنَت على عجزِها في إدارةِ أزمةٍ تقعُ في منطقةِ نفوذِ روسيا، رغم أنَّها سعَت لإخراجِ سوريَّةَ على مدى سنواتٍ إلى قُطبِ الغربيّين.

أوكرانيا لا تختلفُ كثيراً عن سوريةَ كونَها بؤرةُ صراعٍ دوليٍّ، ما يختلفُ هو جوارُها ولغتُها وماضيها، ومتعلقاتُ الصراعِ الدينيّةِ والعرقيّةِ والحضاريّةِ.. لربَّما مازلنا في مراحلَ بدائيّةٍ لصراعٍ دوليٍّ سيتوسعُ لاحقاً؟ ولكنّ سوريةَ – بالأخصِّ – ستكونُ قطبَ ذلكَ الصراعِ لأن سلطتَها وحلفاءها اختارا الصراعَ!

أيها السوري
فكر بكل سورية

بقلم كريستوف رويتر | ترجمة محمد موسى

أتذكرُ ذلك الرجلَ العجوز الذي قابلناه في نهايةِ العالم؛ آو على الأقلّ شعرتُ بأنّها نهايةُ العالم، بعد أن حاولنا – لأيام – عبورَ سهولِ شمال سوريّة إلى دير الزور، المدينةِ النفطيةِ المحاصرة التي تقعُ على نهر الفرات، ويصعبُ الوصولُ إليها.

وصلنا مسكنةَ في حرّ أواخرِ الصيف، وهي بلدةٌ صغيرة نائية تقعُ على ضفافِ بحيرة الأسد، في منتصف الطريقِ إلى دير الزور.. من هنا إلى هناك تمتدُّ الصحراء، حيث تُوجد بعض الطرقِ فقط، ولا أحدَ يعرفُ من يتحكمُ بها! يجب أن ننتظرَ ربما يومين، أو خمسة، حتى يأتيَ شخصٌ ما ليطلعنا على أخبارِ الطريق.. هذا إذا جاء؟!

وهكذا صادفنا ماهر سليمان الذي ارتدى نظاراتٍ سوداءَ قديمة، وعمل لاثنتين وثلاثين سنةً رئيساً للمهندسين في معمل السكر الحكوميّ.. كانت ملامحه هزيلةً، وأسنانُه لم تعد بأفضلِ حالاتها.. شخصيتُه تشبه شخصياتِ رواياتِ غارسيا ماركيز التي تتحدث عن الانتظارِ واللاجدوى.

كلُّ بضعة أيامٍ تأتي طائرةٌ وتقصف المباني المجاورة. مبنى البلدية كان مدمراً سابقاً، بالإضافة إلى سوقٍ صغيرٍ في الشارع الرئيسيّ، وصيدلية، ومبنى المحكمة. لكن بطريقةٍ أخرى كانت الأمور هادئةً أكثرَ مما مضى في مسكنة. الحكومةُ كانت ممثلةً بأشخاصٍ من المخابرات، ذات صباح صعدوا السيارة وابتعدوا...

أدارَ الموظفون المتبقون الأمورَ فيما تبقى من مسكنة المتهالكة.. جلسوا على كراسي قابلةٍ للطيّ أمام مكاتبهم المدمرة واضعين دفاترَ ومصنفات على ركبهم.

إذا صمت ماهر سليمان لفترة، فإن شيئاً ما مطفئاً يظهر على وجهه، مثلَ الوجوهِ الكثيرةِ التي رأيتُها في ظلِّ الدكتاتوريات، استقالت أو ابتعدت، حتى إنَّهم قد بدوا مثله.. موظفون وجوهُهم كوجوه عراقِ صدام، أو ليبيا القذافي، أو سورية الأسد. لكن عندما يتكلمُ يتغيرُ وجهه!

بالقرب من المدينة كانت هناك محطة فرعية ومضخات من السدِّ تقوم بتزويد الكهرباءِ لأجزاءَ واسعةٍ من الشمال السوري. الثوار يستطيعون الاستيلاءَ عليها، لكنَّ النظام قد يفجرها في أيةِ لحظة. كان ماهر سليمان مفاوضاً من طرف الثوار مع النظام الدكتاتوريّ؛ فقد ذهب برفقة اثنين آخرين بالسيارة إلى المحطة الفرعية، وفاوضوا بالكهرباءِ مقابل السلام!

بعد تأمل، قال: "رجال الأسدِ يجب ألاَّ يؤمنوا بالنصر أبداً". لم يعتقد ماهر في

حياته بأنه سيكون قادراً على فعل الكثيرِ ثانية. أضاف: "إنّه شعورٌ رائع، يجعلني أحياناً أبكي من الفرح!".

كتبتُ هذا المقال منذ سنتين، لكن مسكنة الآن هي في أيدي داعش؛ وهذا ليس سبباً لذكري الموضوع. كان ذلك الموقف واحداً من المواقفِ العديدةِ التي تشهد على الأعمالِ الرائعة للمجالس المحلية والمدنية والشورى في القرى، حيثُ وقعَت على عاتقهم مسؤوليةُ استمرارِ نظام الخدمات والمؤسسات، والشعورُ بأنَّ السلطةَ في أيديهم.

لم أشاهد طوال عملي كمراسل في العراق، أو أفغانستان، كهذه المجالس. في أواخر عام ألفين وثلاثة جلس العراقيون في بغداد ينتظرون على جدران التاريخ؛ ويتساءلون من يحكم؟ ومن المسؤول؟

لكن، لا أحدَ تقدَّم بخطوةٍ للأمام على المستوى المحليّ، أو على مستوى البلدات والمدنِ لينظِّم الناس. ونفسُ الشيء في أفغانستان، كلُّ الناس كانوا يشكون من الحكومة، ولكن لا أحد حاولَ تقديم البديل!

سورية كانت وما تزال مختلفةً: في جميع المناطق المحررة نشاهد ظهورَ مبادراتٍ محليةٍ موبوءة غالباً بصراعات داخلية، ونقصٍ من المال، والكهرباء، والوقود، والخبز، وكلِّ شيء. ورغم هذا ما زالوا يتدبرون أمورهم من الزبداني ويبرود وعربين قربَ دمشق، إلى الميادين في دير الزور، وتل أبيض ومسكنة في الرقة، وإلى الشمال في كفرنبل ومعرة النعمان وسراقب في إدلب، ومارع في ريف حلب، والنصف الشرقي من مدينة حلب نفسها.

وصلتِ المجالسُ المحلية، في أواخر عام ألفين واثني عشر، إلى مرحلةٍ من الحنكةِ والتطوّر، إذ راحوا يديرون أمورهم بأنفسهم، ويقدِّمون المساعدات الإنسانية إلى الناسِ المحتاجين. وبنفس الوقت أخذوا يتواصلون مع أشخاصٍ متبرعين في جميع أنحاء العالم، غالباً ما يكونون أناساً سوريين منفيّين من البلد، أو منظماتٍ غير حكومية، أو حتى حكوماتٍ أجنبية.

لكن حدث شيءٌ ما من الصعبِ شرحه، إذ لم يخرج هؤلاء أبعدَ من المحيط المحليّ، أو أبعدَ من مستوى المدينة. كما توضَّح بقيَ التركيبُ الموجودُ كما هو، ولم يتوسّع خارجَ مناطقهم. كلُّ شخصٍ يشكو من الفسادِ وعجزِ الائتلاف في غازي عنتاب، لكن لم يذهب أحدٌ لاستبدالهم.

السوريون – كما ظهر بعد سنتين – هم محليّون بامتياز.. هم رائعون في تنظيم مجتمعهم، لكنهم غير مهتمين، أو غير قادرين – لأي سببٍ – أن يشكلوا بديلاً على المستوى الوطني.

عندما نريد مناقشة مواضيع محددة مع مجلس في بلدة ما، ونذكر بأنَّ مجلساً آخرَ بمحافظةٍ أخرى قد حلَّ نفسَ المشكلة بطريقةٍ ما، يسألون: "هل لديكم تفاصيلُ التواصل معهم؟". فهم ببساطةٍ لم يحاولوا التواصلَ مع أجزاءَ أخرى من البلد، يُلقون التُّهمَ على عدم الثقة، لكن غالباً في الظروف السيئةِ لا يوجد إنترنت، ولا مازوت، ولا يوجد وقت... ولكن في نفسِ الوقتِ كانوا يتواصلون مع تركيا، أحياناً عبر أفراد في الخليج، ومع السويد وواشنطن.. السكايب لا يعرف الحدود، والفيس بوك أيضاً، لذلك لم يكن الأمر يتعلَّقُ بالحدود... بل بالعقلية! خيالٌ سياسيّ مع سقفٍ من زجاج! عادةُ انتظارِ حكومةٍ عادلةٍ وجيدة، بدون أيّ محاولةٍ لتشكيلها، أو أن يكونوا جزءاً منها!

الآن، نحن في أواخر عام ألفين وأربعة عشر، حيث تبدو الحالةُ مريعةً. هناك أملٌ ضئيلٌ بسقوطٍ مفاجئ وسريعٍ لنظام الأسد، لكن من ناحيةٍ أخرى هذا النظام ضعيفٌ جداً وغيرُ قادرٍ على إعادة السيطرة على كلِّ سورية. وفي أي ظرف، إذا حصلَ فجأةً، وسقط حكمُ الأسد بمعجزة، أو كان سقوطاً بطيئاً كتفككِ سورية، فإنّ واشنطن وأوربا وكلُّ العالم سيسأل يوماً ما: هل يوجد بديلٌ للأسد؟ أيُّ شخصٍ يريد، يستطيعُ حكمَ سورية؟ من هو الشخصُ الذي يملكُ الشرعيةَ في حكم هذا البلد؟ لا أحدَ آخرَ غيرُ الناس في الداخلِ يمتلكون هذه في غازي عنتاب، ولا مناف طلاس في باريس، وبالتأكيد ليست داعش.. الشرعيةُ يمكن أن تأتي فقط من الداخل؛ لكن أيضاً يجبُ أن تظهرَ من هناك. يجبُ على المجالسِ أن تطوِّر خطةَ عمل، وأن تقومَ بإجراءاتٍ على مستوى المحافظات، وعلى مستوى الوطن، من أجلِ تقديمِ سلطة تنفيذيةٍ لحلِّ جميع الخلافاتِ وإيقافِ الدمار المستمر، والتصدي لداعش التي تهددُ الجميع...

من ناحيةٍ أخرى، فإن بقيةَ العالم سيسأل: من القادرُ على حكمِ سورية؟ لكن لا أحدَ سيكون قادراً على الإجابة!

كريستوف رويت

ولد عام ثمانية وستين وتسعمئة وألف في ساندي، لوير ساكسوني، بألمانيا. حازَ على تدريبٍ أكاديمي، ودرسَ الأدب الألماني، واهتم بالدراسات الإسلامية والعلوم السياسية. نال درجة الماجستير في

emerging، plagued often by internal struggles، a lack of money، electricity، fuel، bread، everything. But still they managed، from Zabadani، Yabroud، Erbin near Damascus to Meyadin at Deir ez-Zor، Tell Abyad and Maskana in the Northeast to Kafr Nabel، Korin، Maaret Nouman، Saraqib in Idlib، Mara'a in Halep - and the city، it's eastern half، itself.

Until late ٢٠١٢ these councils had reached an astonishing level of sophitication، managing their affairs، providing humanitarian assistance to people in need and often in contact worldwide with private donors، often exiled people from the town، NGOs، even foreign governments.

But then something happened، which is hard to explain، namely: Nothing happened beyond the local، city، provincial level. The existing structures، as elaborate as they were and often still are، didn't expand beyond their territory. Everybode complained about the corruption and incompetence of the Coalition/ Itilaf in Gaziantep، but no one went to replace them.

Syrians، as it appears two years later، are localists: great in organising their community، but not interested، unable for any reason، to form an alternative on a national level.

When we would discuss specific topics with councils in town A، mentioning that another council in another province had solve the issued in one way، they asked: „Oh، do you have their contacts details?" They simply had never tried to get in touch with other parts of the country، blaming it on distrust، but mostly on the bad conditions، no internet، no diesel، no time.

But at the same time، they were communicating with Turkey، sometimes with individuals in the Gulf، with Sweden، Washington، Skype knows no limits. So does Facebook.

So it wasn't about limits. It is about...mentality? A glass ceiling of political imagination? A habit of waiting for a fair and good government without making any attempt to form it، to be a part of it?

Now، in late 2014، the situation looks dire. There is little hope for a swift collapse of Assad's regime. But on the other hand this regime is too weak to ever regain full control of Syria.

In any case، be it the sudden، miraculous collapse of Assad's rule، be it the slow disintegration of Syria، one day Washington، Europe and all the world will ask: Is there any alternative to Assad? Anybody، who wants an can rule Syria? Who is legitimized to rule Syria?

No one else than the people inside could have this legitimacy، not the Coalition in Gaziantep، not Manaf Tlass in Paris، surely not Daesh. The legitimacy could only come from within.

But it also must emerge from within. Councils should start to develop a workable plan to set up a proce dure for provincial، for a national structure of representation of executive power - against all odds of continous destruction، Daesh threatening everybody، etc، etc.

Otherwise the rest of the world will ask: Who is able to govern Syria. And nobody will be able to answer.

Think Of All Syria

Christoph Reuter

I remember the old man. We met him at the end of the world. At least it felt like after we had tried for days to get through the plains of northern Syria to Deir ez-Zor، the embattled، inaccessible oil city on the Euphrates. Until Maskana we had come in the heat of late summer، a godforsaken small town halfway on the banks of the Assad Reservoir. From here to Deir ez-Zor desert and there were only a few roads، of which no one knew who they controlled. We should wait، maybe two days، maybe five، until someone from there came to report. If someone came.

So we met Maher Suleyman. His features were gaunt، his teeth no longer the best. He wore old، black glasses and had worked ٣٢ years as chief engineer in the state sugar factory. A figure like in Garcia Marquez›s novels about the waiting and futility.

Every few days an airplane came to bomb the next building. The city administration was already in ruins as well as a small market on the main street، a pharmacy and the court. But otherwise it was as quiet as ever in Maskana. The state in the form of some mukhabarat employees had one morning just got into the car and driven away.

The remaining officials managed the shrinking remainder of Maskana، sat on folding chairs in front of the ruins of their offices، notepads and folders on their knees.

If Maher Suleyman went silent for a while، something extinguished nested in his face، as in so many faces I saw in dictatorships، resigned، turned away، even if they look you. Officials from Saddam›s Iraq faces، Gaddafi›s Libya، Assad›s Syria.

But when he talked، his face changed. Near the city was the substation or the turbines from the dam، which delivered power to large parts of northern Syria. The rebels could take it، «but then the regime would bomb the power plant.» So Maher Suleyman was the negotiator of the Revolution with the dictatorship. The three of them drove to the substation and negotiated: power against peace.

«Assad›s people،» he said thoughtfully، «should not believe for a while on their victory.» He never thought in his life to be able to do much meaningful again. This was such a wonderful feeling، he claimed، which sometimes drove him to tears.

I wrote this two years ago. Now Maskana is in the hands of Daesh/IS، but this is not the reason to mention this episode. It was one of many I encountered، witnessing the admirable work of local councils، city counsels، village shuras، who had taken their fate and the survival of order، services، administration and a feeling of state-nes into their own hands.

Something I had never witnessed in all my years before as correspondent in Iraq or Afghanistan. In Baghdad in late ٢٠٠٣، Iraqis sat waiting on the fences of history، asking: „Min yahkim“، who‘s ruling now? Who‘s in charge?

But no one would make a step forward on a local، provincial level to get the people organised.

The same in Afghanistan - everyone was complaining about the government، but no one went to offer an alternative.

Syria was، is different: All over the liberated areas، we saw local initiatives

الثقافة المهنية عام 2008 بهامبورغ. درس الصحافة في مدرسة "هنري نانن" بين عامي (1991 – 1992) . عمل مراسلاً لصحيفة محلية بين أعوام (1993 – 1996)، ولـ GEO بين أعوام (1996 – 2002). معدُ تقاريرَ ومراسلٌ حربيّ في العراق وأفغانستان. مراسل "دير شبيغل" في بيروت منذ 2011.

درّب الصحفيين في العراق بين (2007 – 2008)، وعلّم كتابة التحقيقات في أفغانستان سنة 2009 لصالح IWPR (معهد تقارير الحرب والسلم).. حصلَ على جائزة "سبرينغر" للصحفيين الشباب سنة 1997، وصُنِّف مراسلَ السنة (2012) من قبل مجلة "الوسط".

مؤلفٌ له كتب: "ربيع الحرية القصير" – هامبورغ 1999؛ "حياتي سلاح" –ميونخ 2002، مطبعة جامعة برينستون 2004؛ "مقهى بغداد" – ميونخ 2004؛ "كوندوز 4 أيلول" – 2009 ، برلين 2010.

لماذا فشلنا ونجح الأسد والبغدادي؟

حمزة رستناوي

في هذه اللحظة تُعادُ كتابةُ تاريخِ الشرقِ الأوسطِ والهلال الخصيب من جديد، نحن أمامَ مشهدٍ يوحي بوفاةِ لدولة السورية على الأقل وفقَ الصيغةِ التي عهدناها طليةَ سبعةِ عقود، حيثُ تظهر حدودٌ جيوسياسية جديدة يحتفظُ فيها النظام الأسدي بدمشقَ والساحل السوريّ وربّما مدنٌ أساسية في المنطقة الوسطى، بينما يرسّخ البغدادي سلطة" دولة الخلافة الإسلامية" في شرق سورية ووسط العراق حتّى الموصل، أما الأكراد فقد حسموا أمرهم باتجاه الانفصال وخيارِ الدولة القومية، وهم يتقدّمون لتحقيقها بنجاحٍ نسبيّ.

إنَّ خارطةَ النفوذِ الحاليةَ هي حصيلةُ صيرورةٍ بدأت شرارتُها مع انطلاق الثورة السورية في آذار عام2011 ، حيث انطلقتْ ثورة شعبية ضدَّ الاستبداد الأسدي، ثورة ذات طموحات وطنية. ولكنّها ولأسبابَ داخليةٍ وخارجيةٍ مختلفة – لا مجال للحديث عنها في هذا المقال – تحوّلت إلى ثورةِ السنّةِ العربِ ضدَّ النظام الطائفيّ الأسديّ والنفوذِ الإمبرياليّ الإيرانيّ، وفي النهاية وصلنا إلى تَصَدّر مشروع دولة استبداد ديني وفق الإيديولوجية السنّية واجهة المشهد مع إعلان "دولة الخلافة الإسلامية "في بداية رمضان الجاري.

* * *

باستقراء واقعِ ثلاثِ سنواتٍ من الصراعِ نجدُ نجاحَ المشروع الأسديّ في المحافظةِ على وجوده كدولةٍ أوّلاً، ومن ثمّ استعادة نفوذه تدريجياً على مناطق كان قد خسرها سابقاً. ونجد نجاح مشروع البغدادي و"دولة الخلافة الإسلامية" بحضورهما كسلطة أمرٍ واقع على مناطقَ واسعةٍ من سورية والعراق، هذا بغضِ النظر عن الموقف السياسي والأخلاقي من هذين الكيانين السياسيين، ولكنهما من منظور سياسي توصيفي بحت مشاريع ناجحة، مقارنة بالمشروعِ المتعثرِ والفاشلِ للقوى الثوريةِ والإسلاميةِ الأخرى. وليس أدلَّ من ذلك في هذه اللحظة هو توالي المبايعات لـ "دولة الخلافة الإسلامية" من قبل قوى عشائرية وقادة وفصائلِ الجيش الحرّ في مناطقِ نفوذها. وكذلك توالي ما يسمّى بالمصالحات الوطنية في ريفِ دمشقَ وحمصَ القديمةِ، وقيام الكثير من السياسيين المعارضين بتسوية أمورهم، أو طلبِ تسويةِ وضعهم لدى النظام الأسديّ.

وقناعةُ – كاتب هذه السطور – أن الانحياز السياسيّ لأيٍّ من المشروعين، هو تأييدٌ لمصالحِ القصور، وإعادة إنتاج الاستبداد مُجدّداً، ومصالحِ الدولةِ الفاشلة. وهذا يُناقض القيمَ والروحَ الثوريةِ التي نادت بها الثورةُ السورية على الأقلّ في تألّقِها وطورِها الأوّل.

* * *

السؤال لماذا فشلنا ونجح الأسد والبغدادي؟

إنّ للنجاحِ قوانينَ وسنناً من يأخذُ بها ينجح، وهي قوانين عامة تنطبقُ على كلّ المجتمعاتِ والمجموعاتِ البشريةِ بغضِ النظرِ عن اختلافاتها الدينيةِ والسياسيةِ والعرقيةِ. وهذه السننُ بمثابةِ بديهياتٍ للنجاح في العمل السياسي، لا بل والحياة أيضاً. وهنا عرضٌ لاثنتين منها:

- الوحدةُ وحسنُ التنظيم

منذ البداية وعندما قامت الثورة، كان الأسد يملكُ مقوماتِ دولة. والدولة آليةٌ منظمةٌ بطبيعتها، خاصةً في القطاعِ

العسكريّ والأمنيّ، وهذا يتيحُ له آليةً لجمعِ المعلوماتِ والتعاملِ معها، وآليةً لاتخاذِ القرار. وكذلك وجودَ آليةٍ هرميةٍ لتنفيذِ القرار، وتقييمِ الوضع ومعرفةِ نقاطِ الضعف ومن ثمَّ تجاوزُها. وفي مجرياتِ الصراعِ ستظهرُ جبهةُ النظامِ الأسديّ موحدةً متناغمةً إلى حدٍّ كبير، ولنأخذ على سبيلِ المثالِ الإعلام: هناك إعلامٌ حكوميٌّ رسميٌّ، وشبكاتُ تواصلٍ اجتماعيةٍ مُراقبةٌ تسوّقُ خطاباً أقلَّ تشذيباً وأكثرَ عُصبَويّةً، وهناك قنواتٌ أخرى ترتدي قناعَ الحِرفية فيها مساحةٌ معينةٌ لرأيٍ معارضٍ يتمُّ استخدامُهُ بطريقةٍ ذكيةٍ كـ "قناةِ الميادين" وجريدةِ "الأخبارِ" اللبنانيتين. فالأسدُ كائنٌ مقدّسٌ، وأقانيمُ المقاومةِ والثورةِ الإسلاميةِ الإيرانيةِ ومقاومةُ "الإرهابِ التكفيريّ" كذلكَ مقدّسةٌ لا يجوزُ التعرّضُ لها.

أمّا بالنسبةِ للبغداديّ ومشروعِ "دولةِ الخلافةِ الإسلامية" فهو يقوم أساساً على فكرةِ المبايعةِ والولاءِ والبراءِ والوحدةِ والتنظيم، حيثُ تتَّخذُ بعداً عقائديّاً، فطاعةُ أميرِ المؤمنين من طاعةِ الله وليس أقلَّ من ذلك أبداً.. هذه الوحدةُ وحسنُ التنظيم تُتيحُ للبغداديّ إمكانيةَ تطبيقِ مخططٍ استراتيجيٍّ ناجحٍ نسبياً يتمثلُ في فكرةِ التمكين، وكمثالٍ عليه: عدم قتالهم لنظام الأسد رغم كل الإحراج الذي تعرّض له التنظيم، خاصة من قبل الحاضنة الشعبية السنية، ورغم كل الاستنكارات التي انهالتْ عليه من كل حدب وصوب، فقد كان هذا التنظيم مُصرّاً على عدم الدخول في معركة تتنافى مع أولوياته وخططه الإستراتيجية. وهذا مستحيل في حال تنظيم أو جماعة تخضع في سياساتها ومواقفها لردّات الفعل والعشوائية أو تعدد مراكز اتخاذ القرار.

- الاعتماد على الموارد المتاحة

إنَّ مشروعَ الثورةِ بما تتضمّنه من صراعٍ مسلّحٍ هي كغيرها من المشاريعِ تحتاجُ إلى مصادرَ تمويلٍ مستمرة، والإدارةُ الجيدةُ لأيّ مشروعٍ تُعنَى أوّلاً بالمواردِ المُتاحةِ والاستفادةِ القصوى منها وتقنين استخدامها، وبعد ذلك تأتي محاولاتُ تأمينِ واستجرار مواردَ خارجيةٍ إن أمكن. والنظام الأسدي بشكلٍ عامٍ لا يشكو نقصاً بالموارد، سواءً البشرية والمادية كالعتاد العسكريّ والوقودِ والمواد الغذائيةِ وغيرها. إضافةً إلى شبكة الأمان

التي يملكها إقليمياً، والتي تسمح بتقاطرِ المتطوعينَ الشيعة من العراقِ و لبنان. وهذا على النقيض من تنظيم الدولة، وكذلكَ القوى الثورية والإسلامية المقاومة للنظام الأسدي.

فتنظيم الدولة أول ما بدأ بالاستيلاء على مصادر التمويل كحقول النفط، وبعض المعابر التي تدر عليه دخلاً جيداً، ومن ثم قام باغتنام كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة من الجيش العراقي، لا بل إنه كان يقوم بعمليات قرصنةٍ على إمداداتِ الجيش الحر (تحت تبريرات هشةٍ عقائدياً). وبغض النظر عمّا يُقال عن دعمهِ غير المحدود خارجياً من قبل إيران ودول الخليج، لكنه كلام فيه مبالغة، ولا يستند على بيّنة يُعتدّ بها. والمعروف عن تنظيمِ القاعدة ومشتقاته وتنظيمِ الدولة هو أنهما يستفيدان بشكلٍ متبادلٍ من

الصراعاتِ الإقليمية والدولية، ومن وجهة نظرٍ براغماتية هذا يسجّلُ لصالح التنظيم، كما استفاد قبله بن لادن والقاعدة من الدعم الأمريكي في مرحلة قتال السوفييت، لا بل ما تزال زراعة تجارة المخدرات هي مصدرٌ أساسي لتمويل طالبان أفغانستان مثلاً!

ولنتكلّم الآن عن تمويل وإدارة المصادر عند القوى الثورية والإسلامية المقاومة للنظام، فهي – في العموم – رهنتْ نفسها لأجنداتِ الدعم الخارجيّ الإقليميّ غيرِ البريئة، وربطتْ نفسها ومصيرَها بتواجدِ واستمرار الدعم العسكريّ الخارجيّ، وفوق ذلكَ لم تكن مخلصة في حالاتٍ كثيرة في التعاطي مع أسبابِهِ ومستحقّاتِهِ، فغيابُ هيكلٍ تنظيميّ موحَّد سواءً على المستوى السياسيّ أو العسكريّ ساهمَ في تشرذمِ هذه القوى وتنازُعِها. وهذا تتحمل مسؤوليّتَهُ هي نفسُها، والطابَعُ العام لنشاطِها كان فتحَ جبهاتٍ واستنزافَ الموارِدِ بطريقةٍ عفويةٍ وارتجالية. ويُلاحظُ هنا كثرةُ إطلاقِ معاركَ، تحت مسمياتٍ عريضةٍ، خصوصاً في مسلسلِ وادي الضيف والحامدية، وفتحِ وإغلاقِ جبهةِ الساحلِ وغيرِها. وفشلِ أو توقفِ الكثيرِ من هذه المعارك، بعضُها بسببِ نفادِ الذخيرةِ بعد يومٍ واحدٍ فقط من إطلاقِ المعركة.. كلُّ هذا خلقَ شعوراً من ضعفِ الثقةِ بهذه القوى. صحيحٌ أنّ المتاحَ قد يكون قليلاً، ولكنَّ عدمَ التخطيطِ وعدمَ ترشيدِ الموارِدِ تَسبَبَ في إحباطِ مضاعفٍ، وهنا يُمكن الاستعانةُ بأهل الاختصاصِ من العسكريين لتطويرِ أساليبَ قتاليةٍ قليلةِ التكلفةِ كحربِ العصاباتِ والاستفادةِ من التضاريس وغيرها.

لم تأخذ هذه القوى بالأسباب، وانطلقتْ من تصوّرٍ مثالي في موضوعِ التدخلِ الخارجيّ، ونجدُ ضعفَ إدراكها للعبةِ المصالحِ وقراءةِ الواقعِ السياسيّ. فعندما تكون – كقوى ثورية وإسلامية مقاومة للنظام الأسدي – مُنقسماً على نفسك ولا تملك رؤيةً سياسية واضحةً حول تلاقي المصالح، لن يدعمكَ الآخرون، فالدول تدعم من تشعرُ أنه ثقةٌ لتلقي الدعم ومن يُعتمد عليه، وكذلكَ عدم اعتمادِ هذه القوى على المهنيين وذوي الخبرة كان له نتائجُ كارثية.

فإدارة الموارد المالية تحتاجُ لاختصاصيين، يعرفون كيف يضبطون الواردات والصادرات والصندوق، بجداولَ وحساباتٍ وأولويات، وكذلك شأنُ العسكريين والإعلاميين وغيره..

فإذا كانت تعقيداتُ وصعوباتُ الواقعِ الداخليّ، تبرّرُ ربما فشلَ الائتلافِ العسكريّ السياسي، فماذا عن الجانب الإعلامي؟!

فعدم وجود سياسةٍ وتخطيطٍ إعلاميّ أدى لخسارةِ المعركة الإعلامية، ليصبحَ الإرهابُ هو العنوانُ الأبرزُ للثورةِ السورية!

ومنه كذلكَ: عندما يبايع أبو محمد الجولاني أيمن الظواهري زعيمَ تنظيم القاعدة، ومن المعروف قبل هذه المبايعة أنّ جبهة النصرة هي جزء من تنظيم القاعدة الأمّ، كيف نتوقع من القوى الإقليمية والكبرى تقديم الدعم لقوى، عصبها الأساسي جبهة النصرة، أو تقاتل مشاركة معها؟! وما زاد الطين بلّه هو التحشيدُ الشعبيّ حيثُ تمَّ رفعُ شعارِ "كلنا جبهة النصرة" من قبلِ المتظاهرين!

ليوصدَ بابُ الدعمِ الغربيّ نهائياً، خاصةً بالأسلحةِ النوعية، قد يقول قائلٌ ولكنَّ الغربَ منذ البداية بسلبيتِهِ القاتلةِ خذلنا ودفعنا كقوى ثورية إلى التطرفِ. أقولُ هذا صحيح، ولكنَّ عدم الحصول على دعمٍ غربيّ لا يعني اليأسَ وشراءَ العداوة، والثورةُ هي صيرورةٌ مستمرة وكلُّ شيءٍ قابلٌ للتغيرِ، وأمّا فيما يخصُّ الائتلاف فثمةَ إشكاليةٌ كبيرةٌ منذُ البداية بانفصاله عن القوى الثوريةِ والإسلاميةِ العاملةِ على الأرض، ومحافظتِهِ على مسافةٍ منها وتورّطه في (شللية) قاتلة، وانتشارِ الفسادِ في مؤسساته.. الائتلافُ لم يشتغل على السياسة بوصفها فاعلية، موضوعها القاعدة الشعبية، ولم يُعن بإدارةِ صراعٍ سياسيٍّ مُنتجٍ ضدَّ النظام، صراعٍ يستندُ إلى موازينَ قوى حقيقيةٍ على الأرض.

ما سبق في المقالِ يمكن اعتباره نقداً ذاتياً آمل أن يكون إيجابياً، وهو محاولة لتجاوزِ قصورٍ قاتلٍ ساهمَ في تبدُّدِ أحلامِ شعب، وضياعِ وطن...

سوريّون

بينَ مخالب الثعلبِ وفكّي الأسد

حسن ممس

دخلَ السوريون عامَهم الرابعَ للثورةِ وازدادَت معاناتُهم وسوءُ ظروفِ معيشتِهم، فهم ما بينَ مُهجَّرٍ داخلَ البلادِ وخارجَها، ممّا اضطُرَّ بعضَهم للبحثِ داخل سوريةَ عن وسائلَ معيشةٍ أخرى، حتى لو كانت تُضِرُّ بمصلحةِ الوطنِ ومستقبلِه.

زادت في المرحلةِ الأخيرةِ ظاهرةُ تهريبِ الموادِّ النفطيةِ عبرَ الحدودِ السوريّةِ إلى خارجِ البلادِ، لأنَّها تدرُّ أموالاً ضخمةً. فقد أصبحَ النفطُ يُهرَّبُ يومياً بكمياتٍ ضخمةٍ جداً، وبطرقٍ غيرِ قانونيةٍ عبرَ ممراتٍ خاصةٍ تتوزَّعُ على مناطقَ معيَّنةٍ من الحدودِ السوريّة – التركيّةِ، ما جعلَ معظمَ سكانِ تلك المناطقِ وما جاورها يعملونَ في هذا المجالِ.

الناحيةُ الاقتصاديّة

يخشى بعضُ المحلّلينَ الغيورينَ أن تصبحَ سوريةُ على غرارِ العراقِ، حيثُ تتوزعُ حقولُ النفطِ السوريةِ على ثلاثةِ مواقعَ رئيسة: الأولى في شماليّ شرقيّ البلادِ (السويديّة والرميلان)، والثانية في حوضِ الفراتِ (حقول عمر والتيم) حيثُ يقعُ أكبرُ مخزونٍ للنفط الخفيفِ، والثالث في الجزيرةِ.

وقد لجأَ معظمُ المهربينَ إلى احتكارِ مادةِ المازوتِ في مخازنَ خاصةٍ بهم، مما سببَ غلاءً كبيراً في الأسعارِ، الأمرُ الذي دفعَ المواطنينَ إلى اقتناءِ الحطبِ، سيَّما في الشتاءِ، حيثُ ارتفعت أسعارُه ووصلَ سعرُ الطنّ منه – في بعض المناطقِ – إلى عشرينَ ألفِ ليرةٍ سوريةٍ..

كذلك تضاعفَ سعرُ المازوتِ "الرسمي" عدّةَ مراتٍ خلالَ الأزمةِ، ليقفز من خمسة عشر ليرةً سوريّة إلى قرابة السبعين ليرة سورية (نظرياً) للترِ الواحد، لكنَّ السعرَ العمليّ بقيَ أعلى من هذا في المناطقِ الهادئةِ. أمّا المناطقُ الملتهبةُ والمحاصرةُ، فقفزَ فيها سعرُ لترِ المازوتِ إلى مستوياتٍ جنونيةٍ.

فمثلاً قريةُ (الحامضة) السورية الواقعةُ على ضفةِ نهرِ العاصي أصبحت مركزاً لتهريبِ مادةِ المازوتِ، فقد امتدت أقنيةُ تهريبٍ من نوعٍ آخرَ، ثمّةَ شبكةٌ هنا للتهريبِ يحملُ أعضاؤها أجهزةً لاسلكيةً للتواصلِ مع بعضهم بعضاً.. هذهِ الشبكةُ تستخدمُ مجرى النهرِ لتعبرَ، وغيرَ بعيدٍ عن ثُكنةٍ عسكريّةٍ تركيّةٍ صغيرةٍ، وتحتَ أعينِ برجِ المراقبةِ التركيّ الضخم.

إلا أنَّ الأمورَ لا تجري بهذهِ البساطةِ، ففي أغلبِ الأوقاتِ ينتشرُ عناصرُ (الجندرمة) على الضفّةِ التركيّةِ كي يمنعوا اقترابَ أيٍّ كان من ضفتِهم، ما عدا المزارعينَ الأتراكِ، الذين يتحركون بالجراراتِ الزراعيّةِ الموصولةِ بقاطراتٍ صغيرةٍ للتحميل. وعلى الضفةِ السوريةِ تنتشرُ العائلاتُ السوريةُ التي أتت من مختلفِ المناطق من أجلِ اللجوءِ إلى تركيا!

تقريباً هناك ثمانون بالمئة من سكانِ المناطق الحدودية يعملون بالتهريب، والكمياتُ التي تُهرَّب عبر الحدود التركية فقط تصلُ إلى مليار لترٍ يومياً ـ حسب حكومة الأسد ـ وإلى أكثرَ من مليار ونصف ـ حسب المهربين أنفسهم!

تُدرُ عملياتُ التهريب هذه أرباحاً طائلة على المهربين والمصدّرين والوسطاء والبائعين، لا يستطيع أحدٌ تقدير أرقامها..

توقَّف التهريبُ نوعاً ما منذ فترة بسببِ سيطرة جبهةِ النصرة على المنطقة الحدودية، وتشديدِ الحراسة من الجانب التركيّ. أمّا الآن

فالمناطق النفطية السورية التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية" توقفت تماماً عن العمل بعد قصفها من قبل طائراتِ التحالف، خصوصاً في مناطق دير الزور!

التهريب والعبور

تزدادُ أزمةُ اللجوءِ يوماً بعدَ يوم، والإجراءاتُ التركيةُ تعيقُ أحياناً دخولَ اللاجئينَ إلى أراضيها الآمنةِ، بعدَ أن حوّل النظامُ مدينةَ حلبَ إلى أرضٍ محروقةٍ بالبراميل المتساقطةِ من طائراته، منذ بدايةِ العامِ الحاليّ.

العائلاتُ السوريةُ تحملُ ما خفَّ وزنُه من ثيابٍ وأغراض، وتنتظرُ رحمةَ الضابطِ التركيّ الذي سيتركُ حيزاً صغيراً كلَّ بضعةِ ساعاتٍ لعبورِ اللاجئين. وهو إجراءٌ ينتظرهُ المهربون، وأداةُ تهريبِهم حلَّةُ طبخٍ ضخمةٌ تتسعُ لسبعةِ أشخاصٍ، وسعرُ الانتقالِ من ضفةٍ إلى أخرى مئتان وخمسونَ ليرة سورية (1.60 دولار أميركي)، ومن الضفةِ الأخرى سيطلبُ سائقُ الجرارِ الزراعيّ خمسمئة ليرةٍ سورية (3.30 دولار أميركي) لنقلكَ إلى قريةِ (حجي باشا) التركيّة، قربَ موقفِ الباصاتِ.

الجنودُ الأتراكُ يبقونَ طوالَ النهارِ، ومع سقوطِ الظلامِ لا يرحلُ هؤلاء، بل تصلُ سياراتُ حرسِ الحدودِ، وتبدأُ عمليةُ التهريبِ بالتقسيطِ. لا يقطعُ الجنودُ الأتراكُ الحبالَ الممتدةَ بين ضفتيّ النهر، بل يتركونَها وكأنَّها هنا منذُ الأزلِ، ولكنهم يُلاحقونَ العابرينَ، ويحرقونَ الأعشابَ حولَ المرتفعِ الصغيرِ الذي يستخدمهُ هؤلاءِ المساكينُ للوصولِ إلى الأرضِ الزراعيةِ، لمنعِهم من الاختباءِ بينَ الأعشاب، ثمَّ ترحلُ سيارةُ الدوريّةِ التركيّةِ، وتعودُ أعمالُ التهريبِ من جديد.

وعلى مسافةِ خمسمئة مترٍ يمكنُ مشاهدةُ ثلاثةِ معابرَ مائيةٍ تنتظرُ حللُ الطبخِ إلى جانبها في النهار، وتنشطُ في عبورِها ليلاً.

يغتاظُ المهرّبُ في الضفةِ السوريةِ من تشديدِ الضابطِ، ما يجعلُه تلقائياً

يُخبركَ أنَّ هناكَ عدةَ ساعاتٍ في اليوم متروكةٌ للعبورِ الحرّ. ولكنَّ الضابطَ الموجودَ حالياً يُبالغُ في المنعِ، ويصرخُ المهربُ السوريُّ عبرَ جهازِ الإرسالِ اللاسلكيّ لزميلِهِ التركيّ: "قل لهذا الضابطِ، لو كان رجلاً لأتى إلى هنا!". ثمَّ يصمتُ، وبعد أن يمنعَ الضابطُ دفعةً أخرى من العابرين ويعيدُها، يعودُ المُهرّبُ للصراخِ في جهازه: "سأقيمُ له عرساً مشهوداً الليلة!".

الناحيةُ البيئيّة والصحيّة

أمّا من الناحيةِ البيئيّةِ والصحيَّةِ، فيحملُ النفطُ الخامُ المسروقُ مخاطرَ صحيّةً وبيئيّةً عديدةً قد يجهلُها من يقومُ باستخراجِه، تبدأُ بالسرطانِ ولا تنتهي بالتلوثِ البيئيّ الذي يسبّبُهُ النفطُ على مسافةٍ ليست بالمحدودة، إلا أنَّ كلَّ ذلكَ قد لا يُلقي مرتكبُ الفعلِ له بالاً أمامَ الإغراءِ الماديّ لأسعارِ النفطِ الخام، الذي يُباعُ البرميلُ الواحدُ منه بحوالي عشرينَ ألفِ ليرةٍ سوريّة.

إذ لوحظَ في الفترةِ الأخيرةِ انتشارُ أمراضٍ جلديةٍ وأخرى في الجهازِ التنفسيّ بين سكانِ القرى القريبةِ من نقاطِ سرقةِ النفط. ويعزو بعضُ الاختصاصيينَ هذه الأمراضَ إلى خطورةِ ملامسةِ النفطِ الخامِ للجلدِ لاحتوائه على موادَّ مسرطنةٍ وغازاتٍ سامَّةٍ تُرافقُ عمليةَ

استخراجه، وخصوصاً عند حرقها وخروجِ الموادِ السامةِ وانتشارها في هواءِ المناطقِ المحيطةِ بها! هذا، بالإضافةِ إلى الضررِ الكبيرِ بالمحاصيلِ الزراعيّةِ الذي يسبّبُه تهريبُ الموادِّ النفطيّةِ، بسببِ مرورِ معظمِ سياراتِ التهريبِ داخلَ الأراضي الزراعية، ممّا يسببُ ضرراً آخرَ يتمثلُ بتسربِ مادةِ المازوتِ إلى عمقِ هذه الأراضي، ما يؤدي إلى فسادِها وعدمِ صلاحِها للزراعةِ مستقبلاً.

الناحية الأمنية

أمّا منَ الناحيةِ الأمنيةِ، فقد أصبحَ مهربو هذهِ الموادِّ أصحابَ نفوذٍ كبيرٍ في تلك المناطقِ، إضافةً إلى حصولِ اشتباكاتٍ متقطعةٍ بين حرسِ الحدودِ التركيّ وبعضِ المهربينَ في ريفِ إدلب، أدَّت في إحدى المراتِ لإصابةِ عدَّةِ مواطنينَ مدنيين وعددٍ من المهربين، ليصبحَ مرورُ الجرحى المصابينَ بالاشتباكاتِ مع الجيشِ الأسديّ إلى داخلِ الأراضي التركيّةِ أمراً مستحيلاً، نتيجةَ خوفِ الجانبِ التركيّ من هذه الميلشياتِ التي تشتبكُ معه.

حلولٌ ولكن...

من جانبهم عبّرَ بعضُ أهالي الريفِ الشماليّ من محافظةِ إدلبَ في مقابلةٍ خاصةٍ مع مراسلِ المجلةِ عن امتعاضِهم من تلكَ الممارساتِ الخاطئةِ، وهم يُعوّلونَ على كتائبِ الجيشِ الحرّ في التعاملِ معها. وتواردت أنباءٌ عن قيامِ الجيشِ الحرّ بنصبِ حواجزَ على الطرقاتِ في المناطقِ المحرَّرةِ لمنع ظاهرة تهريبِ النفطِ ومعاقبةِ مرتكبيها. وبانتظارِ أن تكونَ لتلكَ الخطواتِ نتائجُ عمليةٌ في معاقبةِ الفاعلينَ وملاحقتِهم وقطعِ يدِ من تسوّلُ له نفسه سرقةَ ممتلكاتِ وطنِه واستباحتَها لنفسهِ مهما كان زيُّهُ أو انتماؤه.

وفي سياقٍ متصلٍ أصدرتِ المحكمةُ الشرعيةُ في حارمَ بريفِ إدلب قراراً يمنعُ تهريبَ بعضِ الموادِّ من سورية إلى تركيا، والتي تقعُ حارمُ على حدودِها. وبررتِ المحكمةُ قرارَها بأنّهُ يهدفُ إلى رفعِ الضررِ عن "المواطنِ"، حيثُ إنَّ تهريبَ هذه الموادِّ الاستهلاكيةِ يرفعُ أسعارَها ويقلّلُ عرضَها في الأسواقِ. وتضمَّنتِ الموادُّ المحظورُ تهريبُها سبعةَ بنودٍ، بدأت بزيتِ الزيتونِ وانتهت باللحومِ، مروراً بالألبسةِ والنحاسِ والموادِّ الغذائيةِ بجميعِ أنواعِها. ونصَّ القرارُ على ضبطِ المهربين وتنظيمِ ضبوطاتٍ بحقِّهم وإحضارِهم (موجوداً) إلى المحكمةِ الشرعية، إضافةً إلى حجزِ الموادّ المهربةِ ومصادَرَتِها. ووقَّعَ على القرارِ القاضي الشرعيُّ في حارم، كما وضعت جبهةُ ثوارِ سوريّة وقائدُ المجلسِ العسكريّ بحارمَ ومجلسِ القضاءِ في المنطقةِ الشماليةِ أختامَهم على القرارِ، ما يعني تأييدَهم له.

وتساءلَ بعضُ الناشطين عن (سرّ) استثناءِ مادةِ المازوتِ من الموادِّ المحظورِ تهريبُها، رغمَ أنَّ العملَ على تهريبِها من سورية إلى تركيا يجري على قدمٍ وساقٍ منذ سنواتٍ، وهو يُضرُّ كثيراً بمعيشةِ السوريين، سيما أنَّ المازوتَ مادةٌ أساسيةٌ في تحريكِ عجلةِ الحياةِ، لما لها من استخداماتٍ متعددةٍ في النقلِ والزراعةِ والتدفئةِ...

التقرير الخاص
بمقتل آلاف المعتقلين في سجون الأسد

إعداد د. أبو تيم الله

قبل يوم واحد من انعقاد مؤتمر "جنيف 2" بين النظام السوري والائتلاف الوطني المعارض برعاية الأمم المتحدة، وبتاريخ 21 كانون الثاني 2014، نشرت صحيفة الغارديان البريطانية تقريراً من 31 صفحة حول مقتل أحد عشر ألف معتقل في سجون النظام السوري، تم إعداد التقرير من قبل لجنة من المحاميين المختصين في الملاحقة الجنائية. وهؤلاء هم:

1 – السير ديزموند دي سيلفا: مدعي سابق لدى المحكمة الدولية الخاصة بالجرائم المرتكبة في سيراليون.

2– السير جيفر نيس: مدعي سابق لدى المحكمة الدولية الخاصة بالجرائم المرتكبة في يوغسلافيا.

3 – الأستاذ ديفيد كراني: مدعي سابق لدى المحكمة الدولية الخاصة بالجرائم المرتكبة في سيراليون.

وقد قامت تلك اللجنة بمقابلة الشاهد الذي سمي "قيصر" – وهو عنصر سابق في الشرطة العسكرية التابعة لنظام الأسد وانشق عنه هارباً إلى خارج سورية – وقدم سجلاً ضخماً من الصور الرقمية بلغ عددها خمسا وخمسين ألفِ صورة، لأحد عشر ألف معتقل قتلوا في سجون النظام السوري.

أكدت اللجنة المختصة صدقية الشاهد "قيصر"، ووثقت الصور بعد أن تأكدت من صحتها نتيجة عملية فحص صارمة، وخلصت من خلالها إلى بعض النتائج الأولية:

- تُظهِر الصور أجسامَ أشخاص كانوا معتقلين لدى النظام السوري في الفترة الممتدة بين آذار 2011 وآب 2013.
- بدت الكثير من الجثث نحيلةً جداً ملطخةً بالدم وعليها آثار تعذيب، في حين كانت بعض جثث الشباب بدون عيون، وأخرى ظهرت عليها علامات الموت خنقاً أو بالصدمة الكهربائية.
- إن تصوير المعتقلين الذين ماتوا تحت التعذيب دليل على أن عملية القتل كانت منظمة، وبموجب طلب من قيادات النظام.. كذلك تم التأكد من موتهم، ولم يطلق سراحهم أو تهريبهم مقابل المال.

واعتبر نشر هذا التقرير قبل يوم واحد من انعقاد مؤتمر "جنيف 2"، من أجل الضغط على النظام السوري وإحراجه، وخاصة بعد مطالبة المفوضية العليا لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ولجنتها الخاصة بتقصي الحقائق في سورية، ومنظمة العفو الدولية ومنظمة هيومن راتيس وتش، والعديد من المنظمات الحقوقية، والشخصيات العاملة في مجال حقوق الإنسان، بعدم إغفال أهمية هذا التقرير والصور، وضرورة التحرك لمحاسبة المسؤولين

عن هذه الجريمة التي تعتبر جريمةَ إبادة جماعية وجريمةً ضد الإنسانية، عدا كونها جريمة حرب، وذلك وفقاً للمادة (2) من اتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام 1948، والمواد (6 - 7 - 8) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998.

ولكن الملفت للانتباه، أن هذا التقرير تم تناوله في وسائل الإعلام العربية والعالمية والمعارضة والثورية السورية، كمجرد خبر وعرضٍ لبعض الصور، في ظلِّ الأجواء السياسية التي كانت سائدة حينها، والهادفة إلى تحقيق نجاحٍ ما في مؤتمر "جنيف 2" أضف إلى ذلك، معرفة الكثير بعدم قدرة المجتمع الدولي وانعدام السبل أمامه، من أجل محاكمة مرتكبي هذه الجرائم وغيرها تحت مظلة القانون الدولي، لكون الخياراتِ القانونية المطروحة غير قابلة للتطبيق من الناحية العملية في ظلِّ الوضع الدوليّ ووقوف كل من روسيا والصين إلى جانب نظام الأسد في مجلس الأمن. وهذه الخيارات هي نظرياً ما يلي:

1 ـ المحكمة الجنائية الدولية: حيث ينعقد الاختصاص للمحكمة الجنائية الدولية لمحاكمة النظام السوري على الجرائم التي ارتكبها وفقاً للمادتين (5) و(8) من النظام الأساسي المنشِئ لهذه المحكمة، وذلك في الحالات التالية:

أ - إذا كانت سورية دولةً عضواً في المحكمة الجنائية الدولية وفقاً للمادة (12) من النظام الأساسي المنشِئ لهذه المحكمة.

ب - إذا أحال مجلس الأمن – متصرفاً بموجب الفصل (7) من ميثاق الأمم المتحدة – حالةً إلى المدعي العام، يبدو فيها ارتكاب إحدى الجرائم المذكورة وفقاً للمادة (13) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ج - إذا أعلنت سورية انضمامها إلى النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، أو قبلت بولايتها القضائية بموجب إعلانٍ رسميّ، وذلك وفقاً للمادة (12) من النظام الأساسي المنشِئ للمحكمة .

ولكن هذا الخيار أو الطريق – خيار المحكمة الجنائية الدولية –غير ممكن، لأن سورية لم تعلن انضمامها إلى هذه المحكمة أو تقبل بولايتها القضائية في ظلِّ سيطرة نظام الأسد على السلطة فيها. كما أن مجلس الأمن لا يمكنه اتخاذ قرار إحالة حالة – على الأقل في المنظور القريب – فيما يخص الجرائم المرتكبة من قبل النظام السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية، وبموجب الفصل (7) من الميثاق الأممي، كون أنَّ قرارَ الإحالة يحتاج إلى تسعة أصوات من بينها، الأعضاء الخمسةُ الدائمون في مجلس الأمن، والذين من بينهم – طبعاً – روسيا والصين اللتين تقفان إلى جانب النظام السوري.

2 ـ إنشاء محكمة خاصة بالجرائم المرتبكة من قبل النظام السوري على غرار المحاكم التي تم إنشاؤها، في رواندا ويوغسلافيا وسيراليون، من قبل مجلس الأمن. وأيضاً هذا غير ممكن، لنفس السبب الذي يحول دون إصدار قرارِ إحالةٍ من مجلس الأمن حول حالة

ارتكبت فيها جرائم إلى المحكمة الجنائية الدولية. وذلك رغم أن مجلس الأمن قد شدد في قراره رقم 1318 بتاريخ 7 أيلول 2000 على أن "مرتكبي الجرائم ضد البشرية وجرائم الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والانتهاكات الجسيمة الأخرى للقانون الدولي الإنساني، ينبغي أن يقدموا للعدالة"، وأعاد تأكيد ذلك في بيانه الصادر بتاريخ 20 كانون الأول 2002.

3 ـ قيام دول أخرى بمحاكمة مرتكبي الجرائم في النظام السوري بموجب مبدأ "عالمية الاختصاص" – بلجيكا مثلاً – حيث لا تعترف هذه الدول بمبدأ الحصانة الدبلوماسية في حال ارتكاب الأشخاص المطلوبين جرائم ضد الإنسانية أو الإبادة جماعية أو جرائمِ حرب، وفقاً للمادة (28) من النظام الأساسي. ولكن يبقى هذا الخيار مقيداً لناحية تواجد مجرمي النظام السوري على أراضي تلك الدول، إضافة إلى صعوباتٍ أخرى عديدةٍ متعلقةٍ بتقديم الشكوى الأولى للمحكمة، وجمع الأدلةِ والشهود، خاصةً إذا كانت قد مرّت سنواتٌ قبل وقوع المجرمين بيد قضاء تلك الدول.

ومن أجل عدم إفلات مجرمي النظام السوري من العقاب، لابد من نهجِ وإتباعِ مساراتٍ وخطواتٍ أساسيةٍ ذاتِ أهدافٍ قريبةِ المدى وأخرى بعيدةِ المدى في ظلِّ عدم تقادمِ الجرائم المذكورة في القانون الدولي، وفقاً للمادة (1) من اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب لعام 1968، وهو ما أكدته المادة (29) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. وهذه الخطوات هي:

1 ـ العمل على توثيق جرائم النظام السوري بالصور والشهادات والفيديوهات، وكل ما يُثبتُ ارتكابه

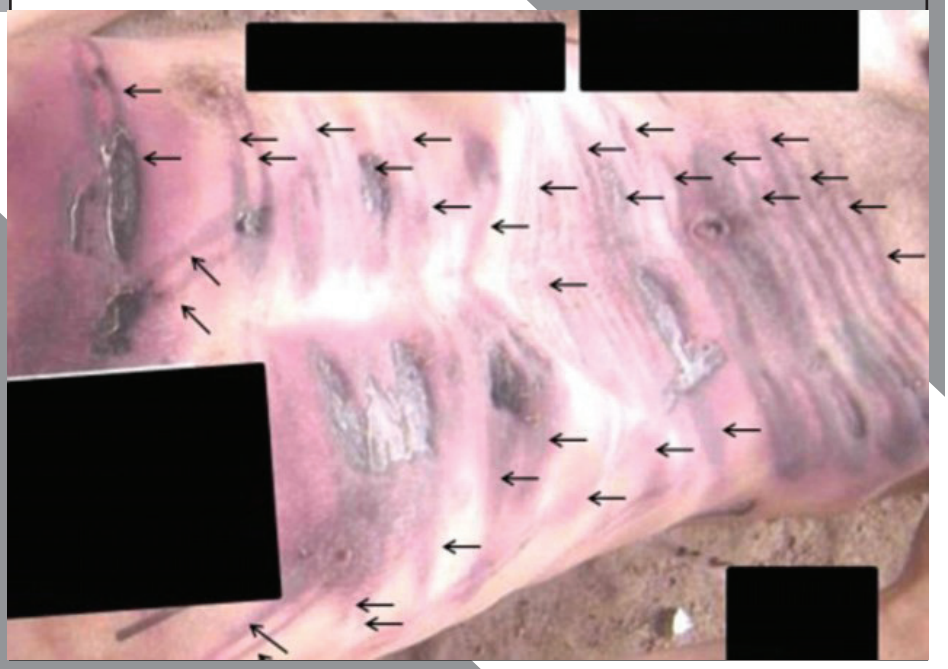

للجرائم المذكورة، خاصةً أنَّ التأخير في البدء بالتحقيقات قد يؤدي إلى صعوباتٍ في إثبات تلك الجرائم في ظلِّ إخفاء آثار تلك الجرائم. وكون ذاكرةِ الإنسان تُطمس مع مرور الزمن، وقد ينتقل الشهود إلى مكان غير معلوم، أو يموتون أو يختفون، وقد تتلف الأدلة المادية والوثائق، كما حاول النظام السوري ذلك بعد استخدامه الأسلحة الكيماوية في الغوطة الشرقية.

2 ـ استخدامُ الرأي العام العالميّ من أجل الضغط على الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن وغيرها، لدفع مجلس الأمن لاتخاذ أحد القرارين: إما إحالة ملف جرائم النظام السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية، أو إنشاء محكمة خاصة بالجرائم المرتكبة من قبل النظام السوري.

وانطلاقاً من ذلك يعتبر هذا التقرير والصور – اللذان حظيا بالمصداقية دون الاهتمام المطلوب – نموذجاً يجب الانطلاق منه، لحشد الدعم لدى المجتمع الدولي وشعوب العالم، من خلال نقل وفضح جرائم النظام السوري، وذلك

بالعمل على:

1 ـ نشرِ أكبرِ عدد من الصور على وسائل الإعلام الثورية والعالمية، من أجل إيضاح الصورة للرأي العام العالمي من ناحية، ومن أجل التعرف على هويات المعتقلين المقتولين في سجون النظام، حيث يُعتبر بعضهم حتى الآن من المفقودين. وهذا مهم من الناحية الشرعية والقانونية.

2 ـ توضيح وجهة النظر القانونية للرأي العام، بأن الذي يقف في وجه العدالة ومحاكمة النظام السوري على جرائمه هما روسيا والصين، حيث يدفع الشعب السوري ثمن ذلك من دمائه وثرواته.

3 ـ تقديمِ دعمٍ تقنيٍّ ومالي ومعلوماتي في إعداد برنامجٍ ضخم مصور يُظهر أكبر عدد ممكن من الصور وأسماء أصحابها، كما فعلت دولة قطر عندما تكفلت بدفع المال لهذه المؤسسة المختصة لإعداد هذا التقرير. أضف إلى ذلك، أنه قد مضت مدة على ظهور هذه الصور، ولم تحظ بالاهتمام في مقابل مجريات مؤتمر "جنيف 2".

4 ـ التركيز من خلال حملة إعلامية تشمل الدول الخمسِ دائمةِ العضويةِ، إضافة إلى الدول التي تمارس الولاية القضائية العالمية وفقاً لمبدأ "عالمية الاختصاص"، ويكون ذلك عبر:

أ - الاتصالِ بالقنوات المستقلة وتقديم دعم مالي لها مقابل ذلك.

ب - الاتصال بالشخصيات الإعلامية العالمية وتقديم دعم مالي لها لإعداد برامج خاصة بجرائم النظام السوري، بحيث يكون الدعم المالي بطريقة غير مباشرة، ويأخذ أشكالاً وصوراً مختلفة، حتى يصبح هو المحرك الأساس لهذه الآلة والمحدد لمسارها في عرض ما تريد، وليس ما يرغب الداعمون به. وهو ما قام به النظام السوري من خلال خطةٍ إعلامية رسمتها وأدارتها شخصياتٌ أكاديميةٌ وإعلاميةٌ خبيرةٌ في هذا المجال، بغض النظر عن كون النظام السوري مجرماً.

بينما الآلة الإعلامية الثورية رغم تعددها وتشتتها واختلاف توجهاتها وقلة خبراتها وضعف إمكانياتها، نجحت إلى حدّ ما على مستوى الداخل السوري، ولكنها لم تفشل على المستوى الدولي، بل هي غير موجودة تقريباً. فالطريقة المباشرة في التعاطي مع الرأي العام العالمي، وفشل الذين بيدهم المال – الائتلاف الوطني المعارض وغيره – في وضع سياسة إعلامية، أدى إلى وضع كثير من الرأي العام العالمي وحتى العربي منه، في حيرةٍ وشكّ، يمكن لمسهما بشكلٍ واضح، عندما يقومون بسؤالنا عن الحقيقة في مجريات الثورة السورية!

واليوم في ظلّ الاندماجات الكبيرة للقوى الثورية والإسلامية وتقلص عدد الآراء والتوجهات، يجب على القوى الرئيسة، كالجبهة الإسلامية وجيش المجاهدين وغيرهما، العمل معاً من أجل وضع خطة إعلامية واضحةِ الهدف، مستعينةٍ بالخبرات والأكاديميين، مع توفير الدعم المطلوب لها، لأن هذه القوى الثورية والإسلامية لا تعيش لوحدها في العالم، حيث لابدَّ من محاكاةِ الواقع دون التخلي عن مبادئ الثورة والجهاد.

المراجع:

1 – التقرير الخاص بمقتل آلاف المعتقلين في سجون النظام السوري، راجع موقع صحيفة الغارديان البريطانية. أو حمل التقرير:
http://static.guim.co.uk/ni/1390226674736/syria-report-execution-tort.pdf

2 – ميثاق الأمم المتحدة:
http://www.un.org/ar/documents/charter/

3 – النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية:
http://www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/6e7ec5.htm

من ولماذا قُتل الناشط الحقوقي نزار رستناوي في سجن صيدنايا؟

فراس سعد

من معرفتي اللَّصيقة بالمهندس نزار تأكَّد لي أنَّه كان يلعب دوراً على غاية الأهميةِ في سجنِ صيدنايا، باعتبارِه عضواً قيادياً في منظمةٍ حقوقيةٍ سورية معنيةٍ بمتابعة أوضاعِ السجناء داخلَ السجن، بمن فيهم السجناءُ الإسلاميون، بغضِّ النظر عن رأيِه بعقائِدهم وخلافِه معهم بشكلٍ مستمرّ. وهو من منطلقٍ أخلاقيٍّ وإنسانيٍّ وحقوقيٍّ حاولَ المستحيل لتطوير وتحسينِ أوضاعِهمُ الإنسانيّةِ والصحيّة... ومن أجلِ ذلك بنى علاقاتٍ مصلحيَّةً مع عددٍ من حراس السجن، وبعضِ عناصر الإدارة من خلالِ تقديم المال أو هدايا بسيطةٍ لهم، من أجل الحصولِ على بعض الأدواتِ الضرورية لاستخدام السجناءِ صحيّاً وإنسانيّاً. وفوقَ ذلكَ كان يُطالبُ بمقابلةِ مديرِ السجن من أجل نقلِ أوضاعِ السجناء السيئةَ له، محاولاً الضغطَ على المدير لتحسينه، عبر تحذيرِهِ أنَّ السجنَ سوف ينفجر في وجه العقيد، وأنَّ أوضاعَ السجناء لا تُحتمل، وأنَّه لا بُدَّ من التعامل مع الإسلاميّين بشكل إنسانيّ، ومحاولة محاوَرتهم أو تثقِيفِهم. لهذا كان نزار محترماً من السجناء بمن فيهم بعضُ الإسلاميّين المعتدلين. وهو بالتأكيد، كان محبوباً فوق أنَّه مُحترمٌ من السجناء العلمانيّين الديمقراطيين الأكراد والجنائيّين، لهذا كانوا يلقبونَه بـ"الخال"، نظراً لموقعِه الكبيرِ بالنسبة لهم، ليكون بمثابة الأبِ؛ ولقد دفع حياته ثمناً لأبوته!

في السابع والعشرين من آذار بعد ساعاتٍ من بداية التمرّدِ الأول في صيدنايا، طلبت لجنةٌ – قيل إنّها مكوَّنةٌ من ضباطٍ جاؤوا من القصر الجمهوريّ والجيش – مجموعةً من السجناء لمفاوضتهم، ومعرفةِ أسباب التمرّد.. اختار السجناءُ الإسلاميون سبعةَ أشخاص، لم يكن بينهم – بطبيعة الحال – أيُّ سجينٍ غير إسلاميّ، فطلبنا من نزار رستناوي أن يكون جزءاً من المفاوضين كي نعرفَ ما الذي يجري وإلى أين يذهبُ السجن. وبعد الإلحاح عليه من قِبل الأصدقاء قَبلَ نزارٌ الالتحاقَ بالمفاوضين. أتذكَّرُهُ الآن وهو ينزل درجاتِ السُّلَّمِ الحلزونيّ من الطابق الثالث هبوطاً إلى الطابق الأولّ، حيث توقَّف وسط الدرج ونظر إلى الأعلى؛ في حين أشار له أحدهم بأن ينزلَ.. هل كان نزار متردداً؟ أم شعر أنَّه

يجتاز الخطواتِ الأولى نحوَ حتفِه؟

بعد أن عاد نزارٌ من لقاءِ اللجنة العسكريّة والأمنيّة التي استمعتْ له وللجنة التي شكّلها السجناء الإسلاميون، قال أنَّه فضح مديرَ السجن العقيد علي خير بك، لدرجةِ أنَّ أحدَ ضباط اللجنةِ طرد علي خير بك خارج غرفته لأنَّه حاول مقاطعةَ نزار أكثرَ من مرة. وقد قال نزار للجنةِ العسكريةِ وبحضور لجنةِ السجناء الإسلاميّين إنَّ السبب في الاستعصاءِ هو الضغوطُ التي مارسها مديرُ السجن علي خير بك ومحاولته إذلالَ الإسلاميين، فلا طعام يصلحُ للبشر، ولا زياراتَ لغيرِ المحكومين.. وهذا ما فاجأ مدير السجن الذي اعتقد أنَّ نزاراً سيكون أقلَّ المنتقدين له، لكنّه كان أشدَّ المنتقدين لعلي خير بك، فقد أخبرَ اللجنة العسكرية الأمنية، أنّه كان قد حذّر مدير السجن أكثرَ من مرةٍ من الانفجار بسبب ضغوطه وممارساته السيئة تجاه المعتقلين، لكنّه لم يتراجع عن ممارساته، فشلَ علي خير بك بتحميلِ السجناء الإسلاميين مسؤوليةَ الاستعصاء الأول في صيدنايا، بسبب اتفاقِ كلِّ السجناء الذين استمعت إليهم اللجنةُ العسكرية على أنَّ السببَ الأول للاستعصاء هو ممارساتُ وضغوط علي خير بك عليهم..

من هذه الحادثة بالضبط يمكنُ أن ندرك السببَ الحقيقيَّ لمقتلِ نزار رستناوي!

لقد اتخذَ العقيدُ علي خير بك قراراً لا رجعةَ عنه في هذا اليوم بالانتقامِ من نزار رستناوي، لأنّه مرّغَ وجههُ أمام اللجنة العسكرية الأمنية الآتيةِ من القصر الجمهوريّ والجيش، وأظهرَه بمظهر المسؤولِ الوحيدِ عن استعصاء سجن صيدنايا العسكريّ الأول، وهو استعصاءٌ لم يحدث في تاريخ السجن، أو أيّ سجنٍ آخرَ في سورية على ما نعلم!

لكن مع ذلك، وبدلاً من تسريح علي خير بك أو نقلِه إلى مكانٍ آخرَ بعيداً عن سجن صيدنايا، بقي في مكانه كمديرٍ للسجن، ربَّما لقرابته من الأسرة الحاكمة؟ وربّما أُعطيَ فرصةً لتصحيحِ ما ارتكبَه في عهدِهِ الأول المنتهي يوم الاستعصاءِ الأول؟

تحقَّقت في الفترة الثانيةِ لحكم علي خير بك معظمُ مطالب السجناء، حيث تحسَّن الطعام، وعُرِض المرضى على لجانٍ طبيّةٍ حيث خرجَ عددٌ منهم بعفوٍ طبيٍّ، وفُتِحت الزياراتُ للجميع، وصار بإمكان الواحدِ منَّا أن يقرأ بعض الكتب، وبدأت سلسلةٌ من المحاضراتِ الدينيّة حاضرَ بها ابن رمضان البوطي وعلي الشعيبيّ وسواهم. وقيلَ إنَّ نزار رستناوي هو من أقنعَ مدير السجن أو اللجنةِ العسكريةِ بهذه الخطوة الأخيرة، لكن هذه الفترة كان سمتُها الفوضى أيضاً، فلقد بدأ المتطرفون الإسلاميون يحتاطون مستعدين لمعركةٍ جديدة، خوفاً من اقتحام السجنِ من قبل النظام، أو بسببِ أخذهم ضوءاً أخضرَ من مدير السجن علي خير بك، أو من جهةٍ ما لتحويل السجن إلى مكان للتدريب على القتال، فتحوَّلت بعضُ الأسرّة وأجزاءٌ من الأبواب الحديدية إلى سيوفَ وخناجر.. كان علي خير بك يعلم بالوضع الجديد، فترك مجالاً أكثرَ للسجناء الإسلاميين الذين راح بعضهم ينتقلُ بين جناحٍ وآخرَ، دون ممانعةٍ أحدٍ من الضباط أو من علي خير بك نفسه.

كانت أيام الحريةِ داخلَ صيدنايا، لكنَّها كانت أيضاً فرصةً علي خير بك لينتقمَ من السجناء، ومن نزار رستناوي بالدرجة الأولى، فقد أخذَ مدير السجن يبثُّ الفرقةَ بين السجناء، كما فعل سلَفُه لؤي يوسف! كان يذهبُ إلى أجنحة الإسلاميين ويحرّضهم على السجناء الجنائيين والديمقراطيين الذين وصفهم بالعملاء لأمريكا والخونة؛ ومن ثمّ يذهب إلى أجنحة الجنائيين والديمقراطيين ويُخيفهم من الإسلاميين بالقول: أنتم كفارٌ بالنسبة للإسلاميين وسوف يذبحونكم!

لقد كان هو المسؤولُ عن الفوضى التي وصلَ إليها سجن صيدنايا، بل قل إنّه كان يُشرف عليها، وبنفسِ الوقت يكتب تقاريرَ يوميةٍ إلى قيادته يقول فيها: إنَّ أوضاعَ السجن أصبحت سيئة، وإنَّ الإسلاميين يصنعون أسلحةً ويتدربون عليها ويُعطون دروساً في التكفير.

استمرَّت تقاريرُ علي خير بك إلى القيادة، حتى اقتنعت بكلامه؛ فطلبت منه إعادةَ الأوضاعِ في سجن صيدنايا إلى حالتها الأولى قبل الاستعصاء الأول، أي بضبط السجن من جديد. وهذا ما كان يريد خير بك الحصولَ عليه، لسببين:

- الأول: كي تتأكدَ القيادةُ أنّه كان مصيباً في طريقة تعامله مع الإسلاميين، وأن الإسلاميين لا يُمنحون حرية، بل لابد من التعامل معهم بقسوة. وبالتالي يستعيد ثقةَ القيادة به!

- الثاني: الانتقامُ من السجناء الذين أذلّوه في التحقيق الذي أجرته اللجنة العسكريةُ الأمنية يوم الاستعصاء الأول في السابعِ والعشرين من آذار. وكانت فرصةَ علي خير بك للانتقام من نزار عبرَ الإساءةِ إلى سمعته بُغية التحريض عليه!

روّجَ علي خير بك عن طريقِ المتعاملين معه وجواسيسِه من الإسلاميين والجنائيين أنَّ نزار يتعامل معه ويكتب تقاريرَ ضدَّ الإسلاميين، وهو يُدرك أنَّ نزاراً يكره الإسلاميين، وهم بدورهم – المتطرفون منهم بالخصوص – يكرهونه، حتى إنَّ بعضهم قد كفَّره بعد عدةِ حواراتٍ بينَه وبينهم!

يُذكر أن إحدى المشادّاتِ بينه وبين أبو حيدر الزمّار – حارس بن لادن – قد انتهتْ إلى أن صفعَهُ نزار فأدمى فمه؛ لأنَّ نزاراً أصرَّ على البقاء في المهجع، بينما كان الإسلاميون يطالبونه بالانتقال إلى جناحٍ آخر، لأنهم لا يتقبّلون آراءه بالإسلام ومحاولاتِه الدائمةَ لمحاورتهم دينياً مستخدماً المنطق، وبالتالي إلزامَهم الحجّة. وهو ما أثار استياءَ القياديّين منهم على الخصوص، فاتهمه

بعضهم أنه متشيّعٌ؛ والتشيع عند المتطرفين الإسلاميين يوازي الكفر!

استغلّ علي خير بك الشقاقَ الحاصل بين نزارٍ والإسلاميين المتطرفين ليصعّده، فيزيد في لهيبه باتهام نزار بالتعامل معه وكتابةِ تقاريرَ ضدَّهم. وحين أصبح الجوُّ بين نزار والإسلاميين لا يُطاق، طالبَ نزارٌ مدير السجن بنقله، لأنَّ الإسلاميين كفّروه؛ وهو يشعر بالخطر على حياته، بحيثُ ربَّما يُقتل وهو نائم، كما فعل أبو سعيد الضحاك بأحد السجناء، حيث عمدَ إلى قتله بهراوةٍ حديديةٍ وهو نائم، محاولاً قتلَ ثلاثةِ سجناءَ آخرين بنفس الطريقة. لكن جواب علي خير بك لنزار كان: "شو بعملك يعني؟ بدك أنقلك على الميريديان؟ هدول اللي كنت تدافع عنهم!".

كلُّ هذا اضطرّ نزار لطلبِ نقله إلى جناحٍ آخر اسمه "جناح المختلط" أو "جناح التجسس". وكان فيه مزيجٌ من الإسلاميين المعتدلين والأكرادِ والمتهمين بالتجسس، وأُضيف إليهم الديمقراطيون والعلمانيون والمتهمون الآخرون غير الإسلاميين.

من إذن هو قاتلُ نزار؟

لا شكَّ أنَّ القاتلَ الحقيقيَّ لنزار رستناوي هو مدير سجن صيدنايا العقيد علي خير بك الذي فضحَه نزار أمام اللجنة العسكرية، التي التقت السجناء المتمردين أثناء الاستعصاء الأول في صيدنايا في السابع والعشرين من آذار عام 2008، رغم أنَّ بعضهم يتّهم أحدَ المعتقلين الإسلاميين من بلدته مورك بقتل نزار. وهذا الشخص يميل للشقرةِ وعيناه ملونتان، ربَّما لونهما أخضر على ما أذكر، تعرَّفتُ عليه في جناحِ العقوبات، بعد الحكم عليَّ بأربع سنوات. وكان هذا الجناح يضمُّ أشدَّ الاسلاميين المعاقبين!

أخبرني الشابُّ أنه من بلد نزار، وحين عرف أنّي أتحدث مع نزار عبر فتحة الجدار التي تفصل بين جناحي وجناح نزار، قال لي: "سلّم لي على نزار". وبعد دقيقةٍ أو أكثر تراجعَ، وقال: "لا، ما تسلّم عليه"، وقد بدا عليه الارتباك!

أخبرني أحدُ الأصدقاء لاحقاً أن هذا الشابَّ مهرّبٌ وحشّاشٌ ومتورطٌ بقضية جنائية، وتحوّل في السجن مدّعياً أنّه إسلامي؛ كما جرت العادة مع بعض الجنائيين الذين يوضعون في جناح الإسلاميين!

شهادات على هامش المقال:

- شهادة من حمزة رستناوي (قريب نزار):

وصلتنا شهادات وأخبار متواترة، من أكثر من مصدر، على أن نزار قُتل من قبل تكفيريين، بتسهيلٍ وتواطؤٍ من سلطة السجن.

كان نزارُ ما قبل الثورة مؤمناً بقيام الثورة على نظام الأسد، وكأنَّها ستقوم غداً. كان نزار قبل اعتقاله يكرّس وقته وماله، ويُخاطرُ من أجلِ التوثيق والدفاع عن المعتقلين، بمن فيهم التكفيريون. وعندما كنتُ أناقشه كانت فكرته أنَّ التكفيريين هم من نتائجِ الاستبداد، وأنَّ على الناشط الحقوقيّ ودُعاة الديمقراطية أن لا يكيلوا بمكيالين؛ فالإنسانُ له حقوق بغض النظرِ عن أفكاره ومعتقداته.. في الختام الاستبداد الدينيُّ والسياسيُ وجهان لعملةٍ واحدة!

- شهادة أخرى: التقيتهُ مرةً واحدة، استطاع خلالها أن يترك في نفسي ما يصعب نسيانُه، كانت كلماته وعباراته تحملُ إيقاعاتٍ أخرى، لم أكن أسمعها من قبل. شاءت الأقدار أن أعتقل خلال الثورة ثم أُنقل إلى سجن حماة المركزي. وهناك استطعت التكلم مع بعض سجناء صيدنايا الذين نقلهم النظام، ووزعهم على سجون المحافظات. أول سؤال سألته لأحدهم من خلف نافذةٍ مكسورة: "هل نزار رستناوي على قيد الحياة؟"، فأجاب بدون ترددٍ: "لا، لقد قتل". وعندما سألته: "من قتله؟". أجاب: "لا أعلم، لكنَّ الذي أعلمه أنه في صبيحة يوم محاولة اقتحام السجن جاء خمسةُ ملثمين واقتادوا نزار؛ وبعد نهاية المعركة الأولى، وُجد جثةً هامدة في إحدى الغرف وآثار القضبان الحديدية على رأسه!".

طلبتُ بشدَّة من هذا السجين أن يخبرني الحقيقةَ عمن قتل الرستناوي فأجاب: "ظاهرياً نحن (يعني بذلك الإسلاميين)؛ أما الحقيقةُ فأنا لا أعلمُ من هؤلاء الخمسة، ولكن بعد سيطرة النظام على السجن، حُكِم ونفِّذَ حكم الإعدام بستة أشخاص بتهمةِ قتل نزار". هذه الشهادة سمعتها من شخصين تم الإفراج عنهما: أحدهما استشهد بعد فترةٍ وجيزة من خروجه بإحدى المعارك ضدَّ النظام، والثاني مازال على قيد الحياة. الرحمة لروحك أيها البطل، والذل والعار لكل من شارك في جريمة قتلك!

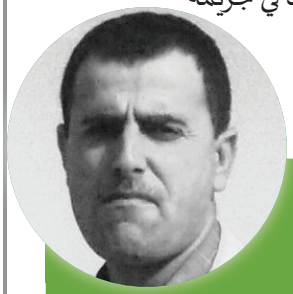

تعريف موجز بنزار رستناوي:

مهندس مدني من مواليد 1960 بلدة مورك – محافظة حماة – متزوج وله ثمانية أولاد.. يعدُّ أحد الناشطين في لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان في سورية، وعضوٌ مؤسس للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. تمَّ اعتقاله من قبل جهاز الأمن العسكري في مدينة حماة بتاريخ 18 نيسان 2005، وحكم عليه – من قبل محكمة أمن الدولة العليا – بالسجن لمدة أربع سنوات، بتهمة إضعاف الشعور القومي وتوهين نفسية الأمة. وقُتل في مجزرة سجن صيدنايا، من دون أن يعترف النظام السوري بوفاته أو يعطي أيةَ معلومات عنه.

حرائر سورية والحرب

إذا كان للانتهاك في الحروب مسمىً آخر فهو "المرأة"، حيث شاركت بفعالية في الكثير من تلك الحروبِ بشتّى أنحاءِ العالم، ولعبت دوراً مهماً فيها على امتداد التاريخ.
تؤدي النزاعات المسلحةُ – بشكل عام – إلى تأثيرٍ بالغ في حياة النساء، ولهذا التأثير مظاهرُ اقتصاديةٌ واجتماعية خطيرة، تبدأ بغياب المُعيل، وتمتدُّ إلى تفكُّكِ الأُسرة والعمل في التسول والدعارةِ وسوى ذلك.
تضطرُّ النساء – في غياب الرجل – إلى القيام بأعمال شاقةٍ يؤدِّيها هو عادةً، مثل الزراعةِ وتربية الماشية، والهجرةِ إلى البلدان لأجل العملِ وتدبير أمور معيشتهنَّ وأسرهنَّ، وفي سبيل ذلك كثيراً ما تفوتها فرصٌ مناسبةٌ للزواج المستقرّ، لتزدادَ نسبةُ العنوسة، وتقلَّ فرص المرأةِ في اكتساب مركزٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ لائق.
وكان التقريرُ الأخير الخاصُّ بالمفوضية العليا للاجئين السوريين التابعةِ للأمم المتحدة أكّدَ انتقالَ

المرأة السورية من المساعدةِ في التربية بشكلٍ أساسيٍّ، لتغدوَ المعيلَ الأهمَّ للعائلة.. كذلك وضّح هذا التقريرُ أنَّ أكثر من مئةٍ وخمسةٍ وأربعين ألفِ عائلةٍ سورية تعيلها اليومَ نساء.

منذ الأيامِ الأولى لثورة الحريةِ والكرامة برز دورُ النساء السوريات في مظاهر التعبير الاجتماعيّ لنيلِ الحرية، كالمشاركة في التظاهر والكتابة والدعوة إلى الحريّات، ونالت قسطها من بطشِ النظام، فطالها الاعتقال والاغتصاب والتنكيلُ بها وبأهلها، رجالاً كانوا أم نساء!

تصدَّر الاستغلال الجنسيُّ المشهدَ السوري، فكان أكثرَ مظاهر العنف التي استخدمت ضدَّ المرأة السورية في السنوات الأربع التي خلت. فمن المعروف عن النساءِ السوريات هو اعتزازهنَّ بشرفهنَّ والتزامهنَّ الآدابَ العامة في محيط من الحياة الاجتماعية المحافظة، لتكون تلك الأمورُ ورقةً رابحة بيد النظام الأسديّ الغاشم ضدَّ النساء المتظاهرات اللاتي طالبن بالحرية بقوةٍ وحماس، ولم يكنّ خائفاتٍ من عواقب التعبير، بعد أن طفحَ كيلُ الظلم سنواتٍ طويلةً.

وقد ذكرت التقاريرُ وشهود العيان حالاتِ اغتصابٍ كثيرةً في صور وحشية، كحالات الاغتصاب التي تعرضت لها نساءٌ أمام ذويهنَّ في نوع من الإذلال لهنَّ أو انتقاماً من عائلاتهنّ، مثلما حدثَ في مدينة حمص السورية بداية الثورة، وهنا لا يكون الاغتصابُ مجرد عنف وعقوبةٍ ضدَّ المرأة السورية فقط، بل عملاً عدوانياً ضدّ المجتمع السوريّ بأكمله، وضد عائلة الفتاةِ أو السيدة على وجه الخصوص.

وأكبرُ مثالٍ على ذلك قضيةُ المعتقلة أماني، التي تعرَّضت للَّشبحِ في الساحة الخارجية لفرعِ المخابرات الجوية بالسويداء لمدة خمسة عشر يوماً دون ثياب في أيامِ الشتاء الباردة، لمجرّدِ أنها كانت على صلةِ قرابة بأحد المقاتلين.

وبعد أن تمَّ تعذيبُها لستة أيامٍ متواصلة واغتصابُها خلال عمليات التعذيب من قبلِ عدّة أشخاص وبشكل جماعيّ، قاموا برميها في المراحيض بعد انتهاءِ مدة الشبح.

وكان جميعُ العساكر يتبولون عليها، ويتركوها على ما هي عليه دون أن تتجرأ إحدى المعتقلات على الاقتراب منها، أثناءَ عملية الخروج أو الدخول إلى المرحاض، والتي كانت تتمُّ لمدة دقيقتين ولمرةٍ واحدة يومياً!

في ظروف الحربِ تُقامُ عادةً أماكنُ من شأنها حماية النساء والأطفال وكبارِ السنّ، لأنَّ الرجال والشبان يكونون منشغلين بالحرب على الجبهات أو هاربين أو مفقودين، يُطلق عليها اسم "مخيمات". وقد تتعرض هذه المخيمات للهجوم والنهب والاعتداء من العصابات المسلحة، أو رجال السلطةِ نفسها، التي يُفترض أن تحمي المخيمات وترعاها من المعتدين والبُغاة.

لعلَّ من دواعي الشعور بالمأساة – في هذا السياق – أن نذكرَ أنَّ الاغتصابَ لم ينحصربالمعتقلات في السجون الأسدية، بل امتدَّ ليصل إلى بعض المخيمات(الصديقة) التي يُفترض أن يكونَ من أخصّ غاياتِها حمايةُ اللاجئين إليها!

نظرة المجتمع إلى المرأة التي تعرضت لضررٍ مادي أو معنوي

عانت المرأة قديماً، وما تزال تعاني في مناطقَ كثيرةٍ، من النظرة السلبية في المجتمع الشرقي الذي كثيراً ما افتقدَ الرحمةَ تجاه العنصر النسائيّ فيه، فكيف وقد وقعت – بغير ذنبٍ منها – في محنةِ الاغتصاب؟

لقد كان من أثرِ قسوة المجتمع ونظرةِ العار التي تُلاحق النساءَ المغتصبات – أحياناً – أنّه تمّ توثيق حالاتِ انتحارٍ عديدةٍ من نساء تعرضنَ لهذا النوع من الانتهاك، في حالاتٍ أخرى، لكنها قليلة، كان ثمَّة من ينظر إلى المرأة المعتقلةِ على أنّها بطلة، ويدفعونها للأمام، ويساعدونها كي تستمرَ بشكل طبيعيّ في حياتها القادمة.

لم تسلمِ المرأة السورية من العقاب حتى عندما كانت مشاركتها إنسانيةً سلميةً بكل المعايير – كما في العمل الإغاثيّ فقد كان يكفي أن يبلغَ أزلامَ النظام الأسدي خبرٌ عن فتاةٍ تعمل في هذا الميدان حتى تحلَّ عليها اللعنة والغضب. وللأمانة في تسجيل الواقع نذكر أنّه لم يثنِ اعتقالُ فتياتٍ بتهمةِ الإغاثة زميلاتهنَّ اللواتي مازلن حرّات، من المضي في الميدانِ نفسه بثقةٍ ويقين، فلم ينل من إرادتهنَّ، بل زاد هذا من عزيمتهنَّ وإصرارهنّ على إيصال الإعانات إلى مناطقَ محاصرةٍ أو محرومة، يعجز الرجال عن دخولها أو الوصول إليها كمناطق الزبداني، أو بعضٍ من ريف دمشقَ المحاصر، وفي أماكنَ عديدةٍ غيرها.

ولاشكَّ أن ما يزيدُ من معاناة المرأة هو وجودُ حواملَ وأراملَ ومرضعاتٍ وأمهات بين النساء، وهذا هو الجانبُ الذي يجعلهنَّ أكثرَ عرضةً للأذى في ظروف الحرب والنزاعاتِ المسلحة.

ومن المأساة أحياناً أن تنتقلَ المحنة إلى المساكن والبيوت وأماكن الإقامة، فتتعرضُ للتدمير بسبب الدافعِ الشائن نحو المرأة.

في يوميات الثورة السورية مثال على ذلك، فقد تحدّث شهودٌ عيان عن فتاة كانت تقيم في حي الزبداني بدمشق، وكانت في طريق عودتها إلى المنزل مرةً، فمرت بأحدِ حواجزِ النظام الأسدي، ليطلب منها أحد عديمي الشرف رقم هاتفها، وعندما رفضتِ الحرّة ومضت في طريقها، تبِعها العسكريُّ ليعرفَ مكان سكنها. بعد ذلك قام بقصف المنزل، فراحت الفتاة وأهلها جميعاً ضحيةَ هذا العمل الوحشيّ المألوفِ عند عملاء النظام، دونَ علمهم بالذنب الذي اقترفوه.

وفي النهايةِ أقول: إنّ سُبلَ مواجهة ألوانِ العنف السائدة ضدَّ المرأة السورية في محنتنا اليوم تحتاجُ إلى معالجةٍ فكرية واجتماعية واقتصادية، مع نشر الوعي والتوجيه التربوي، مرفقاً بحثّ منظماتِ حقوقِ الإنسان والدفاع عن حقوق المرأة المشروعةِ في المجتمع الديمقراطيّ، فلاشكَّ أنَّ ثمّة علاقةً جدلية بين الأمّيةِ والجهل والبطالة وغياب الوازعِ الدينيّ والاجتماعي من جهة، وبين استمرارِ ممارسة العنفِ ضدَّ المرأة، دون أدنى شعورٍ بالذنب في المجتمع من جهةٍ أخرى.

ما مدى التنسيق في

تاليا قدسي

أعلن الائتلاف السوري المعارض تشكيل وحدة تنسيق الدعم في كانون الأول عام 2012 بمدينة غازي عنتاب التركية – التي تعرف اختصاراً بـ A. C. U. – من أجل تنسيق دعم جميع المتأثرين بالأزمة الإنسانية في سورية.

العمل

تقوم وحدة التنسيق – حسب بيان نشر على موقعها الإلكتروني – بتوزيع الإعانة (غذاء ودواء) بشكل حيادي إلى جميع السوريين، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية أو آرائهم السياسية، وبما يتوافق مع المعايير الدولية ومبادئ حقوق الإنسان.

تعمل الوحدة بالتنسيق مع المجالس المحلية ومنظمات الإغاثة الداخلية والجهات المانحة وهيئات الإغاثة الدولية والمنظمات غير الحكومية المحلية والدولية، لتحديد الاحتياجات وربط الجهات المانحة مع الجهات الفاعلة في الميدان.

وقد ورد أن وحدة التنسيق هذه استطاعت إيصال مساعدات إلى أكثر من أربعة ملايين مواطن سوري!

الكادر

تضم وحدة التنسيق كادراً يزيد على250 موظفاً يعملون في كافة المناطق التي تحوي فروعاً لها. وتعتمد الوحدة – كما يظهر في طلباتها للتوظيف – على الخبرات الجامعية والقدرات العلمية والعملية التي تعدّ عالية جداً مقارنة مع بقية المنظمات والوحدات التي تعمل في المجال ذاته. ويتوزع الموظفون على الشكل الآتي، وبشكل تقريبي: 60 مركز غازي عنتاب، 10 مركز لبنان، 10 مركز الأردن، 100 في الداخل.

متوسط المصاريف الإدارية من حيث الرواتب

تبدأ رواتب الموظفين من 1000 دولار وتصل إلى 5000 دولار

لبعض الإداريين العاملين خارج سورية، أما في الداخل السوري فمعدل الرواتب يتراوح بين 300 - 500 دولار شهرياً. وبذلك فإن متوسط الإنفاق الشهري للرواتب لا يقل عن 250 ألف دولار للطاقة البشرية المنظمة العاملة في الوحدة فقط.. هذا يعني أنها قد أنفقت منذ قيامها وحتى الآن حوالي ستة مليون دولار أو يزيد.

الصلاحيات والأعمال

بالإضافة إلى الجانب الإغاثي الغذائي والصحي تقوم الوحدة بدعم مشاريع المنظمات العاملة بالداخل)ما يخص صلاحيات الوحدة) بصفة يطلق عليها – دعم عاجل – وهي طريقة متداولة في المنظمات المانحة لدعم المنظمات التي يعتمد بقاؤها على دعمٍ سريع أو عاجلٍ لاستمرارِ عملها.

من إنجازات الوحدة

مشروع التلقيح ضدّ شلل الأطفال في الداخل السوري، حيث تم توزيع أكثر من خمسة ملايين جرعةِ دواء بحسب ما أعلنته الوحدة.

تساؤلات

تتحرك القوة الفاعلة في وحدة التنسيق من قسم العلاقات الخاصة بالمنظمات المانحة، وكانت تترأسه سهير الأتاسي المسؤولة المباشرة عنه – قبل إقالتها مع وزير الصحة عدنان حزوري بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٤ على خلفية وفاة أطفال بريف إدلب إثر تلقيهم لقاحات، ومن ثم عودتها إلى منصبها مؤخراً – ويمكن الاستدلال على ذلك ببساطة من خلال ظهور المدير التنفيذي السابق د. أسامة قاضي في الاجتماع الدولي الذي رعته الحكومات المانحة للشعب السوري، مع غياب الأتاسي المتكرر عن مثل هذه الاجتماعات. والسؤال هنا: هل تستمد الوحدة قوتها من أنها المعني الوحيد بتنسيق الدعم إلى الداخل السوري أم أن علينا تجاوز هذا السؤال؟

المهنية والخبرة والكادر

تفخر الوحدة بأن لديها كادراً من ذوي الكفاءات العلمية والمهنية يفوق غيرها من المؤسسات المختصة بالشأن السوري، بل يندر أن تجتمع مثل هذه الخبرات في الحكومة المؤقتة والائتلاف معاً. ولكن ثمة أمران مربكان يكثر القول فيهما ولعلهما بعض أسباب عدم تماسك هذا الكادر:

الأول: هو المحسوبية في التوظيف، فقد ذكر بعض الموظفين السابقين، وبعض من زالوا قائمين على رأس عملهم أنه في كثير من الأحيان يجدون رجلاً غير مناسب في صلاحياتٍ غير مناسبة. وهنا نطرح سؤالاً: هل هذه الوحدة قوقعة ذات مظهر خارجي تبتعد في مضمونها عن الغاية المطلوبة؟

الثاني: في ظل الظروف التي يعاني منها أي وافد إلى الخارج السوري، وبعد متابعة عدة حالات من أشخاص قدموا طلبات للتوظيف ولم يحظوا بشرف العمل فيها رغم امتلاكهم المؤهلات المطلوبة، كان جوابهم مخيباً للآمال: "ليس لدي من يقوم بتزكيتي من المسؤولين داخل الوحدة!". وهذا يدفعنا إلى التساؤلين التاليين: هل من شروط التوظيف المعلنة تزكية من أحد العاملين في الوحدة؟ وهل هذا الشرط أهم من الخبرات التي يمتلكها طالب الوظيفة؟

وفي سؤالٍ على الهامش، توجهنا به إلى بعض العاملين في الوحدة: إذا رغب الموظف لديكم بالحصول على إجازة صحية أو عطلة لظرف طارئ، فماذا عليه أن يفعل؟ فكان الجواب غائماً متردداً!

إن هذا الأمر لا يعيب الموظف، لكنه يدفع للاعتقاد بوجود خللٍ ما في النظام الإداريّ الخاص أو سياسة العمل، خصوصاً أنه متصل بالتفاصيل الإدارية المتعلقة بسياسة الحوافز والعقوبات، تلك السياسة التي تعد عصباً مهماً لتنظيم عمل أي مؤسسة. فهل ثمة قوانين ناظمة لآلية عمل الموظفين في الوحدة أو أن الناظم لها هو نوع العلاقات الشخصية في داخل السلسلة الهرمية للإدارة؟!

الإنجازات مقارنة بالإمكانات

نفهم من موقع الوحدة أن أهم إنجاز لها تفخر به هو مشروع مكافحة شلل الأطفال في الداخل السوري المحرر. ومن خلال بحثنا الشخصي علمنا أن المشروع قد تم بالتنسيق مع أكثر من ثمانية آلاف متطوع في الداخل السوري، علينا – بالطبع – شكرهم كل الشكر على عملهم التطوعي!

وهنا نسأل: هل كان المشروع

وزير الصحة السابق
عدنان الحزوري

سينجح بقدرات الوحدة بدون تبرع المتطوعين؟ ثم، أليس من البرّ أن يحصل هؤلاء المتطوعون على مكافآت رمزية مقارنة بالرواتب المجزية لموظفي الوحدة؟

ذكرنا لتعريف الوحدة أنها تقوم بدور الوسيط لتنسيق عمليات إيصال أنواع الدعم إلى الداخل السوري، وقد عرفنا – من خلال بحثنا الخاص – أن هذا الدعم يشمل الدعم الإنساني والإغاثي والتربوي والنفسي... مع شكرنا الأكيد لجهود الوحدة، لكننا سنظل نتساءل عن سبب بروز بعض المؤسسات الإغاثية المستقلة في الداخل المحرر بشكل يدفعنا للشك بإمكانية الوحدة في تغطيتها للحاجات التي تصدت لها في برنامجها النظري. وهذا يقودنا لسؤال آخر عن (التخريجات) القانونية لدعم بعض النشاطات الخارجية مقارنة بالتقصير في الداخل، كما حصل في دعم نشاط فنان مسرحي معروف بمبلغ ثلاثين ألف دولار مقابل عمل ترويجي بسيط للوحدة من خلال نشاطاته؟!

تبين لنا بالبحث والسؤال أن أعداد الموظفين التابعين للوحدة في شمال سورية – المتمثل في تركيا – في مجمل نشاطاته تفوق الحاجة إليهم إذا قورنت بالتقصير الكبير في مخيمات اللاجئين بالأردن ولبنان!وهنا نسأل عن السياسة التي تتبعها الوحدة في توزيع موظفيها أصحاب الأجور العالية؟... وهنا لا يوجد سؤال يمكنني التفكير به!

يعلم المراقبون والمهتمون بالشأن الإغاثي – في الداخل السوري – حجم الخدمات والمساعدات التي تؤديها مؤسسات إغاثية متفرقة هناك بموارد مادية محدودة.

وهنا نسأل: هل يوازي ما قدّرناه بستة ملايين دولار من نفقات الوحدة حتى الآن بالمنجزات العملية التي استطاعت أن تحققها على أرض الواقع؟

بشفافية

وهذا لا يغضّ من الجهود المشكورة التي قامت بها الوحدة في السنتين الماضيتين، فقد كان لها لمستها أيضاً في بعض المجالات، مثل: مساعدة مؤسسات الدفاع المدني في بعض المناطق السورية المحررة، وإرسال بعض المواد الطبية إلى مناطق متضررة بسبب القصف.

وأخيراً

إن ما كتبته لا يعد سوى محاولة خجولة لنقد بناء، بالنظر إلى المشكلات التي تعاني منها الوحدة، إما بضعف القرار أو القدرة الإدارية، أو بعدم بذل جهد أكبر في التنظيم للحصول على بعض المنح التي يستحقها الشعب السوري، ويخسرها بسبب الضعف في التنسيق والسرعة في اتخاذ القرار، رغم أن الوحدة لا ينقصها أي سبب من أسباب النجاح فيه، من قدرات مادية تحلم بها أي مؤسسة تعمل في المجال ذاته، وكادر معظمه مؤهل!

إننا لا نحاول هنا رمي عبء المسؤولية على أي موظف كان، لكننا نريد أن نوجه سؤالاً واحداً كبيراً: أما آن لوحدة التنسيق والدعم أن تقوم بنفض غبار الفوضى وتعمل على نظام حقيقي يوزع المسؤولية بين كوادرها ولا يرمي بالمسؤولية في كل مرة على شخص ما فيها؟

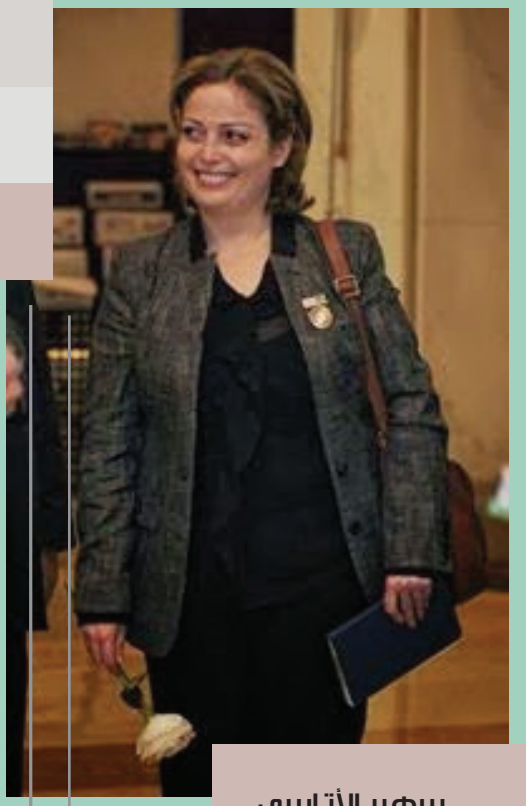

سهير الأتاسي

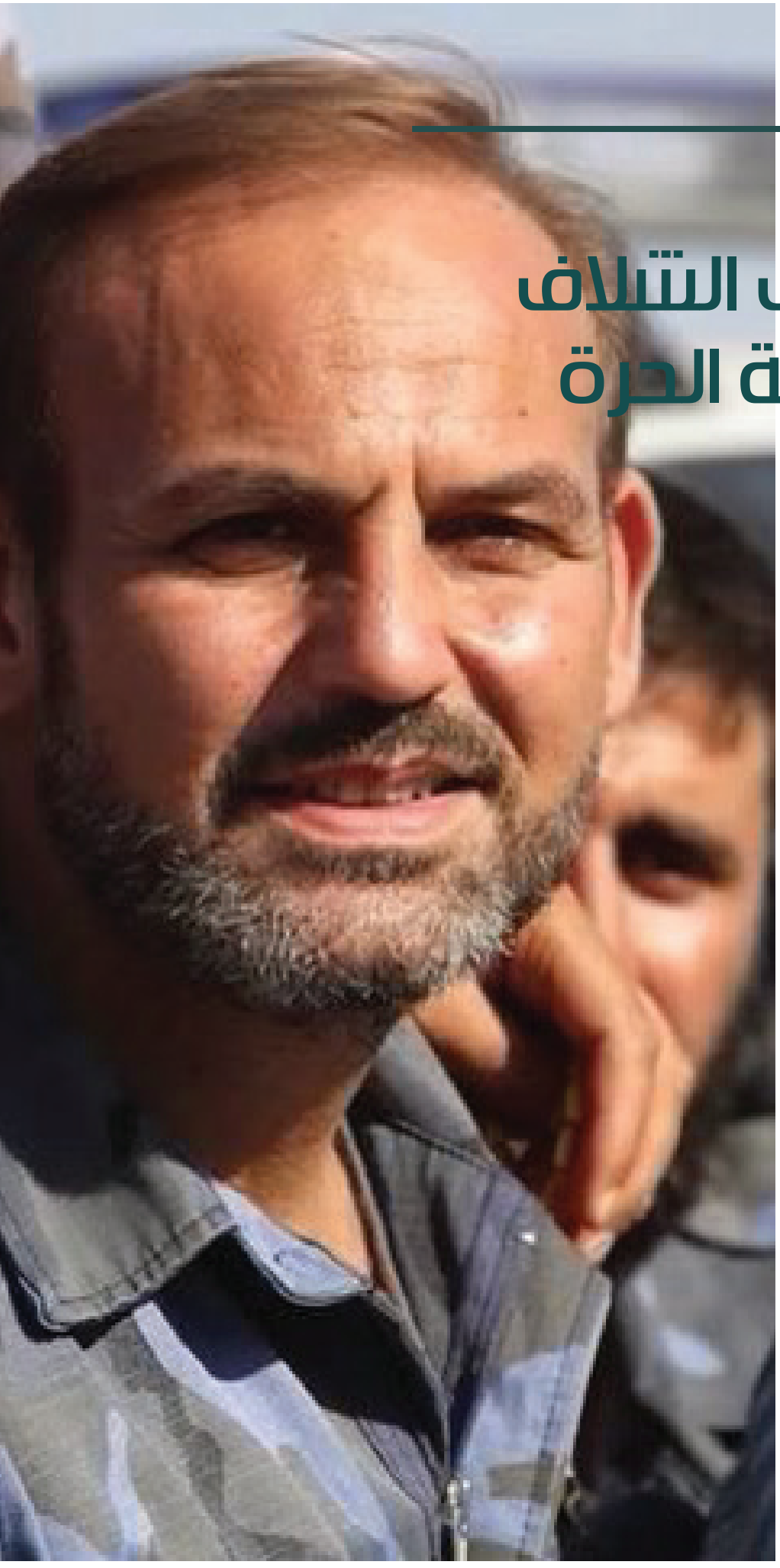

لقاء مع العميد أديب الشلاف قائد الشرطة الحرة

تقصيرنا كان ولا يزال واضحاً في إنشاء المؤسسات لخدمة الناس في المناطق المحررة، وضبط الأمن والوضع العام. وكذلك من أجل إيجاد الأسس الصحيحة للعمل والانطلاق نحو المستقبل، وإقامة سلطةٍ قويمة وسليمة بديلةٍ عن النظام السابق الفاسد. وهذا الأمر ـ للأسف ـ لم يحدث إلا في حالاتٍ نادرة منها الشرطة الحرة؛ حيث عمل العميد أديب الشلاف وزملاؤه على تأسيس جهاز شرطة للحفاظ على الأمن العام وحياة المواطنين.. نعم، لا تتوفرُ له كلُّ القدرات والإمكانات المطلوبة، وليس كما يجب، والكلُّ يعرف الظروف والواقع في المناطق المحررة؛ ولكن هي خطوة مهمةٌ على الطريق الصحيح لبناء سورية المستقبل ـ دولة المؤسسات.. وللتعرف أكثر على الشرطة الحرة كان هذا اللقاء...

ـ نرحب بك سيادة العميد باعتبارك أول مؤسس للشرطة الحرة على المستوى السوري، ويسعدنا اللقاء بك.. لو تُحدثنا

قليلاً عن هذه المؤسسة.

ـ نحن تقريباً منذ سنتين تماماً، بدأنا بإنشاء مؤسسة الشرطة الحرة في الأول من تشرين الأول 2012 بمحافظة حلب. كنا عدة ضباط منشقين قمنا بالتنسيق مع ما عُرف حينها بـ" المجلس الانتقاليّ الثوريّ" بحلب، ومع المجالس المحلية، والفعالياتِ المدنية، ووجهاء القرى والأحياء، وقادة الجيش الحر، من أجل تأسيس هذا الجهاز الشرطي ومراكزه.

ـ ما عددُ مراكز الشرطة الحرة والمنتسبين إليها؟

ـ منذ عدة أشهر وصل عدد المراكز إلى ستين مركزاً في المحافظة كلها (مدينة وريف)، في حين بلغ عدد العناصر زهاء ألف ومئتي عنصر ومئة ضابط، أي بالمجمل كنا تقريباً حوالي ألف وثلاثمئة شخص في جهاز الشرطة، ولكن بسبب الظروف الأمنية، ودخول ما يسمى "الدولة الإسلامية" الساحة، وسيطرتها على الريف الشرقي بحلب اضطررنا لإيقاف 12 مركزاً، وتقليص العدد إلى أقلّ من ذلك.

ـ ما هو عدد الحالي؟

ـ العدد الحالي ألف ومئة منتسب بين عناصر وضباط.

ـ ما هي معوقات العمل؟

ـ حقيقةً، المعوقات كثيرة، وأهم هذه المعوقات هو قصف النظام الهمجي اليوميّ العنيف. والذي استهدف مراكزنا بشكلٍ خاص، حيث دمَّر مركز القيادة، لذلك غيرناه ثلاث مرات. قصفونا بصواريخ من الطائرات أو من الراجمات. آخر مرة كانت ببرميل متفجر من مروحية. كذلك دمروا لنا عشرة مراكز منتشرة في المناطق المحررة.

هذا فيما يتعلق بالقصف، لكن هناك معوقات أخرى، مثل دخول ما يسمى "الدولة الإسلامية" على الساحة.. هؤلاء يرفضون الطرفَ الآخر مهما كان، حتى ولو لم يقاتلهم، وعدوُّهم الأول هو الجيش الحر؛ حتى نحن لم يتقبلونا واعتبرونا كفرة. إضافةً إلى انتشار السلاح في المناطق المحررة. لكن الأهمَّ من كلِّ ذلك هو الإمكانات والدعم.. في البدايات كان الدعم قليلاً جداً، وكنا نعمل متطوعين. وصلتنا مساعدات من قبل بعض الأشخاص، وبعد ذلك تطوَّر الأمر، إذ صارت تصلنا مساعدات من دول "أصدقاء سورية"، فتحسنت الأمور نوعاً ما!

ـ كيف تعاونكم مع الجيش الحر؟ هل هناك تنسيق معه؟

ـ طبعاً في تنسيق.. تواصلت أنا مع أغلب قيادات الجيش الحر، وعدد كبير منهم دعم المشروع، على الأقل معنوياً. ونحن نعاني من مشكلة قلّة السلاح لدينا.. السلاح الذي نستخدمه كشرطة هو ما بقي معنا بعد الانشقاق (مسدس، بندقية)، وهناك بعض التبرعات بأسلحة خفيفة من الجيش الحر، أو من المجالس المحلية التي كانت تدعم المراكز التابعةَ لها. يعني تسليح خفيف جداً، لذلك نُضطَّر أحياناً للاستعانة بالجيش الحرّ عندما نتعامل مع عصابة مسلحة، ونطلب مؤازرتهم، ولم يرفض أحدٌ منهم المجيء لمؤازرتنا.

ـ سيادة العميد هل هناك تسلسل هرمي في العمل؟ وما هي القوانين التي تعتمدوها؟

ـ لقد بقيت الرتب الحالية نفسها. أنا عميد، وعندي معاونين عمداء، وهناك عقداء ومقدمين، كافة الرتب موجودة، حتى صفّ الضباط والعناصر موجودين حسب رتبهم السابقة. ونعمل بنفس القانون الذي كنا نعمل به فيما مضى، نظام خدمة الشرطة، وهو نظام ليس له علاقة ببشار وبأبيه المقبور. النظام الذي نعمل به حالياً هو نظام منضبط لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية. والآن نقوم بالعمل على نظام داخلي، بما يتلاءم مع الواقع الذي نحن فيه. كذلك أنشأنا نظاماً داخلياً مؤقتاً، طبعاً لا يعني نظام بشار الأسد؛ فمثلاً هناك الكثير من الناس المتشددين الذين يقولون "نحن نعمل بالنظام السابق"؛ لكن هذا النظام موجود منذ سبعين أو ثمانين سنة، ككيفية دخول منزل ما. وهذا النظام يحفظ كرامة الإنسان، حيث لا يدخل الشرطي بشكل همجي، وإنما يأتي معه أحد وجهاء الحارة أو المختار، حتى لو كان المطلوب مجرماً.. نقوم بمراعاة حصانة المنزل، وندخلُ بأصول، مراعين حرمة النساء وشعور الأطفال.

ـ أين توجدون حالياً؟

ـ نوجد في مناطق محافظة حلب المحررة، ويوجد شرطة مستقلة في إدلب. ساعدتُ الشرطة هناك،

ولكن من جديد، أي منذ حوالي ستة أشهر، أصبح لديهم قيادة جديدة، وكي لا نبخسهم حقَّهم، قام أناس هناك بشكل طوعي بتشكيل مجموعات أمنية لحمايةِ حقوق الناس، فقمنا بتنظيمهم وضمِّهم إلينا وإنشاء ذاتيات لهم.

ـ هل من خطط للتوسع في باقي المحافظات؟

ـ نعم، هناك خطط، لكن حلب كانت السباقة في هذا الموضوع، ومن ثم انطلقت محافظة إدلب.. هناك في اللاذقية، أعني ريف اللاذقية، توجد أيضاً عدة مراكز. وكنا نعمل على تفعيل دير الزور والرقة، لكن الظروف، كلنا نعلمها.. دخول "داعش" أوقف هذا المسعى.

ـ هناك مسألة مهمة هي مسألة الفساد، حيث اتهم بعض عناصر الشرطة بقضايا الفساد، هل من ضوابط لهذه المسألة؟ وما هي الإجراءات المتبعة؟

ـ نحن، كما تعلم، متَّهمون بأننا كنا جهازاً فاسداً؛ وهذا الكلام دقيق أيام النظام السابق، وما نسعى إليه الآن هو تغيير صورة الفاسد من أذهان الناس. نحن حوالي ألف ومئتي شخص، فلا يمكنني معرفة الجميع من الناحية الأخلاقية، لقد قمنا بضمِّ كل شرطيّ منشق، باستثناء بعض من لديه أمور مفضوحة أو إساءات مشهور بها. إنَّ أي إنسان يمكنه الانتساب إلينا، خاصةً من المنشقين. كما ولدينا بعض الشباب الثوريين من ذوي السمعة الجيدة الذين انضمُّوا إلينا. لدينا مبدآن مهمان من ناحية التوجيه والإرشاد: الأول هو معرفة الصحّ من الغلط، والحلال من الحرام. والمبدأ الثاني هو المحاسبة، المحاسبة الفورية؛ فقد قمنا حتى الآن بفصل حوالي 200 ـ 250 شخص بسبب فسادهم، بعضهم بسبب عدم الالتزام بالدوام، وبعضهم بسبب التعاطي بالرشوة أو أمور أخرى. قمنا بفصلهم من جهازنا، وبعضهم قدموا للقضاء من أجل المحاسبة.

ـ سيادة العميد بخصوص التمويل، هل كان هناك أجندة وإملاءات سياسية لدى الدول الداعمة؟ هل طلبوا شيئاً معيناً؟

ـ هناك دول يطلق عليها "أصدقاء سورية"، تقوم بدعم مشاريع مدنية. مشروعنا هذا يعتبر مشروعاً مدنياً، ليس لهم أي طلبات.. يمكنكم التأكد من خلال مراكز الشرطة. لهم بعض الطلبات المحقّة، مثلاً أن يكون الموظف في جهاز الشرطة موجود في الداخل. هذا يعني أنه ليس لدينا أحد في تركيا، مقيم أو يعمل هناك، ومنتسب للجهاز. مثلاً أنا موجود دائماً بحلب، وعندما يضطر الأمر للقيام بلقاء أو شيء ما، أقوم بالسفر إلى تركيا.

الطلب الثاني، أن يكون هناك إثبات بأن المعونات التي يقومون بتقديمها موثقة بالصور أو بالتواقيع. طبعاً في بداية تمويلهم للمشروع طلبوا طلباً واحداً قمنا برفضه، وكان عن معاشات العناصر، إذ أنهم طلبوا معلومات كاملة تفصيلية عن كلِّ العناصر. ونحن حتى لا نقع بأيةِ شبهة قمنا بالرفض، حيث كنت

ورئيس مجلس المحافظة الأسبق يحيى نعناع وبعض أعضاء المجلس السابقين، وأخبرناهم أننا سنقوم بإعطائهم أرقام ولن نقوم بتقديم أسماء، فقاموا بتوقيف المعاشات. لديهم قوانين لا تسمح بتقديم معاشات لأشخاص غير معروفين بالنسبة إليهم؛ فرفضنا تقديم البيانات. استمرّوا بتقديم المعونات اللوجستية، وتوقفوا لعدة شهور عن تقديم الرواتب، حوالي أربعة أو خمسة أشهر، وبعدها عندما رأوا أنّنا مصرون على العمل رغم انقطاع المعاشات، صدر حينها قرار سياسي بإعادة المعاشات.. هذا الطلب الوحيد الذي قاموا بطلبه ورفضناه.

ـ هناك بعض الإشارات على أنك مرشح لتسلّم منصب وزير الداخلية، ما صحة هذه المعلومات؟ وما رأيك بالموضوع؟

ـ لأكثر من مرة تمَّ ترشيحي.. بصراحة أنا أحبّ العمل على الأرض، لا أصلح كسياسي، لأنه يجب أن يكون هذا الشخص ملماً وغير تابع لأجندة سياسية، لذلك اعتذرت!

ـ وإذا تطلبت المصلحة العامة ذلك؟

لن أقبل بمنصب وزير الداخلية إلا إذا كان مقرّ الوزارة في الداخل!

ـ ما طبيعة علاقتكم مع الحكومة المؤقتة؟

ـ علاقة مودة.. لا يوجد أي دعم من قبلهم!

ـ لا تقوم الحكومة المؤقتة بتقديم أي دعم لكم؟

ـ لا، أبداً!

ـ هل من فكرة لتطويع عناصر نسائية في المستقبل؟

ـ لدينا حتى الآن أربعة عناصر نسائية، كذلك نقوم حالياً بالتأسيس لمركز خاص بالشرطة النسائية، سيضمّ حوالي خمسة وعشرين عنصراً كلهنَّ جامعيات. لكن كما تعلم الناس يقومون بمحاربتنا الآن بهذا الموضوع. إن شاء الله سنقوم بالتجهيز لهذا المركز، طبعاً لن يكون هناك مركز ثاني، بل ستوجد الشرطيات كنوعٍ من الحفاظ على حقوق المرأة. وعند توقيف أي امرأة، بأيّ مركز، قد يُطلبن عن طريق قائد القطاع إلى المكان المطلوب، كي يُفتشنَ النساء أو يحقِّقنَ معهنَّ. لهذا السبب، هو نوع من الحفاظ على حقوق المرأة.

ـ هل ترسلون الضباط إلى دورات خارجية للتعرف على القوانين الدولية، وهل تتعاملون مع مؤسسات خارجية متقدمة في هذا المجال؟

ـ بالنسبة للدورات هناك دورات قليلة، لكن توجد صعوبات بدخول العناصر إلى تركيا، ولا توجد دورات خارجية..

ليس لدينا أية مشكلة بالتعامل مع أية دولة، بشرط ألا يكون لديها طلبات ذات أجندة. في هذه الحالة لا مشكلة لدينا أبداً.. أتمنّى التعاون مع أي دولة!

ـ سيادة العميد كيف تتصورن مستقبل المؤسسة؟ هل سيكون هناك أي تطور وخطط مستقبلية؟

طبعاً، سيكون هناك تطور.. هناك نقطة هي أنّه في محافظة حلب، قبل الثورة، كان عدد عناصر الشرطة أكثر من ثمانية آلاف عنصر. وكان هناك حوالي 350 ضابطاً، أما نحن فلا نتجاوز الألف ومئة فرد، ونتطور بشكل تدريجيّ مدروس. ونطمح إلى إنجاح هذا المشروع، وجعله مؤسسة مهنية محترفة.

ـ هل من شيء آخر تحب إضافته ؟

ـ لا، أبداً...

ـ شكراً لحضورك!

ـ شكراً لجهودكم!

أجرى الحوار إدارة التحرير

أزمة تراث في سورية: نداءٌ لإيقافِ تجارةِ الآثار

بقلم هيذر لي *
ترجمة محمد موسى

مقالةٌ حديثة لجريدة «نيويورك تايمز" تصف حالة الضعفِ التي يعانيها المثقفون وعلماءُ الآثار في وجه الخطر الكبير الواضح الذي يهدد الميراثَ الثقافيَّ السوريّ.

ماذا يُكلف إيقاف التدمير المستمرّ للإرث الثقافيّ السوريّ؟

من المغري البحثُ عن علاجٍ مشابهٍ يناسب أمماً أخرى في الشرق الأوسط، حيث جعلت الاضطراباتُ السياسية الميراثَ الثقافي عرضةً للضرر بشكلٍ كبير. قامتِ الولايات المتحدة عام ألفين وثمانية بفرض قيودٍ على استيراد الآثار الماديّة والعرقيّة من العراق بدون أوراقٍ مناسبة. هذه الحماية (على الرغم من أنّها أقلُّ صرامةً من القانون الأساسي المقدم برقم H.R.3497/2009) قد تكون البديلَ المناسب لذلك القانون في أيامنا هذه.

بُذلت جهود كبيرة منذ العام ألفين وأحد عشر لإشاعة تفعيلِ قواعدَ مماثلة للآثار المصرية، تتضمن محاولةَ تمرير مذكرة تفاهم لفرض قيود على استيراد الولايات المتحدة أصنافاً معينةً من المصنوعات اليدويةِ الأثرية المصرية.

ماذا عن سورية؟

هل من الممكن أن تُحرمَ التحفُ من دخول الولايات المتحدة؟ هل من الممكن أن تُقلَّص قيود الاستيراد الحافزَ الاقتصادي لنهب الآثار" نفس الهدف من معاهدة اليونسكو 1970 (منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة)؟

كيف تختلفُ الظروف الحالية في سورية عن الحالة في العراق، التي قادت إلى طريق قيود التجارة بين أعوام 2003 - 2008؟

ممثلا الولايات المتحدة فيليب انكلش وجايمس ليتش تقدما بقانون (H.R.2009)، الذي عُدل فيما بعد إلى (H.R.3497)، وبدأا العزم على إصدار القانون (S.1291)..

هل من الممكن للفرق الأخرى التي ساهمت بالقانون (H.R.2009) أن تساعد على كتابة مسودة وتشريع قوانينَ لحماية الإرث الثقافي السوري؟

لسوء الحظ، فقد غادر عضوا الكونغرس المكتبَ العموميَّ منذ ذلك الوقت، ومن الصعب إيجادُ غيرِهما أساساً يتصدى لهذا الجهد التشريعي.

في السابق اعتاد المعارضون (للقانون) أن يحتجوا بأنَّ القانون يتصادمُ مع مجتمع سوق الفنِّ، وأخيراً أُقرّ قانونٌ أقلَّ صرامة، لكن من الصعب الآن ظهورُ جهدٍ سياسيٍّ مماثل لأجل حماية الآثار السورية.

من المؤكد أنَّ الولاياتِ المتحدةَ قد أوقفتِ العلاقاتِ الدبلوماسية مع النظام السوري، ولم تُقدِّم الحكومة السورية إلى وزارة الخارجية الأمريكية طلبَ مذكرة تفاهم، لتمكنَ قيود استيراد الآثار إلى داخل الولايات المتحدة، حيث أثبتت تلك

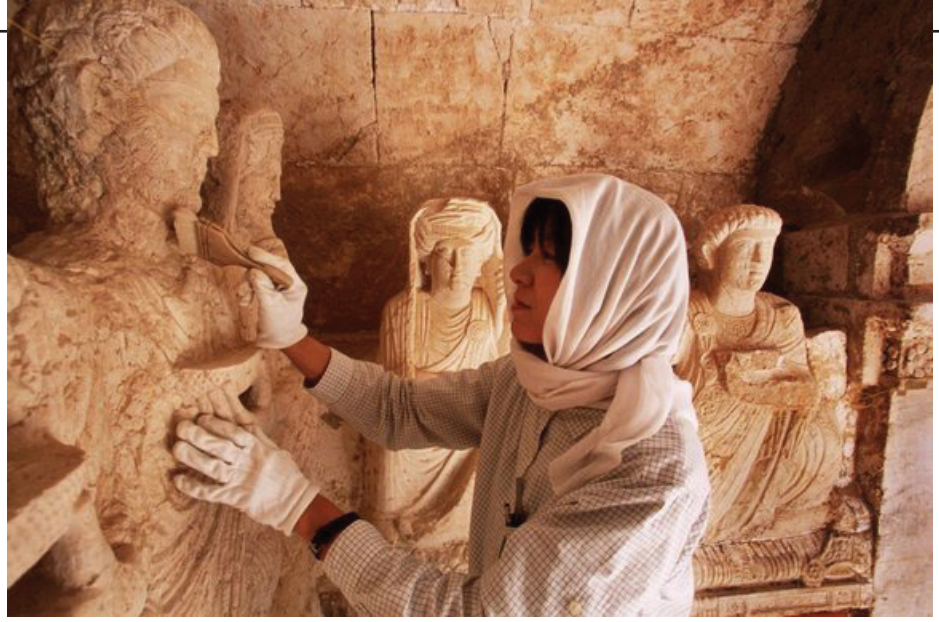

القيودُ بأنها وسيلةٌ فعالة لكبح جماحِ حوافز نهبِ المواقع الأثرية القديمة.

طبّق الاتحاد الأوربيُّ في تشرين الأول من عام ألفين وثلاثة عشر هذه القوانين، ليُسهّل عودةً سليمة إلى المالك الشرعي لتشكيلة بضائع الميراث الثقافي السوري، التي نُقلت من سورية بشكلٍ غير قانوني.. كذلك تُوضع معاييرُ لقيودٍ إضافية تمنع استيرادَ وتصدير ونقل هكذا بضائع.

قدمتُ تقريراً، في المملكة المتحدة، عن (مرسوم تحسين مقاطعة التصدير السورية رقم 2014 1896 2014 SI)، وقد قُرر في السادس عشر من عام ألفين وأربعة عشر، وطُرح أمام البرلمان في الثامن عشر من تموز، وصدرت الموافقة عليه في الثامن من آب من نفس العام.

على المستوى العالميّ، سورية عضوٌ في الأمم المتحدة، لكن على الرغم من تقديم الحملة السورية عريضةً جمعت تقريباً سبعة عشر ألف توقيع، تطلبُ من مجلس الأمن في الأمم المتحدة أن تُحرّمَ التجارة بالتحف السورية، لم يُفعَّل حتى الآن قانونُ الحماية الشاملة للميراث الثقافي السوري.

في أيارَ الماضي دعت منظمة اليونسكو لاجتماعٍ عالمي، لتتخذَ قراراً بشأن إنشاء مرصد مراقبةٍ لحالة المباني والتحف والميراث الثقافي المعنوي، ومكافحةِ النقل غير الشرعيّ، وجمع معلوماتٍ لإعادة الميراثِ مع نهاية الحرب الدائرة.

هذا القرارُ ليس كقرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم (1483)، الذي دعا كلَّ أعضاء الأمم المتحدة إلى منعِ التجارة بموادِّ الميراث الثقافي، وتبني طرقٍ أخرى من أجل تأكيد عودةِ المواد المذكورة إلى العراق، مسهلاً بذلك تنفيذَ عملية حماية الملكية الثقافية العراقية في الولايات المتحدة.

لا تستطيع الأممُ المتحدة اتخاذَ الإجراءات اللازمة استناداً إلى اتفاقية "هايغ 1954" لحماية الملكية الثقافية في أحداث النزاع المسلح. هذه المهمة مسؤوليةُ محكمة الجنايات الدولية.

يجب على المسؤولين الرسميين السوريين أن يتذكروا أنَّ الجمهورية العربية السورية عضوٌ في اتفاقية "هايغ 1954" بمعاهداتها الأولى والثانية. أما الممثلون غيرُ الحكوميين في سورية فعليهم أن يدركوا بأنهم مشمولون أيضاً بتلك الاتفاقية، حتى وإن لم يوقعوا عليها أو يقرّوا بها، لأن اتفاقية "هايغ 1954" تُعتبر عرفاً في القانون الدولي، وبالتالي تربط الدولَ والممثلين غيرَ الحكوميين أيضاً، كالأحزاب الثائرة أو المجموعات الانفصالية – حسب رأي الخبير القانوني زو هاو.

تتضمن البنودُ الأساسية لمعاهدة "هايغ 1954" المادة (4) التي (تُلزم المتقاتلين بالامتناع عن مهاجمةِ الملكية الثقافية، إلا إذا كان هناك ضرورة عسكرية، وعن سرقةِ وسلب أو تخريب الملكية الثقافية)، والمادة (19) تنصُّ على (تطبيق الاتفاقية على الصراعات المسلحة غيرِ العالمية، والتي تُعرف أيضاً بالحروب الأهلية) .. إنّها أفكارٌ حكيمة بالتأكيد .

في هذه الأثناء، نشرت صفحة آراءِ القراء في جريدة "نيويورك تايمز" خبراً مفادُه أنَّ السكان المحليين السوريين قد شُجّعوا في الوضع الراهن على نهبِ المواقع الأثرية تحتَ نوعٍ من الرخصة القانونية، مشيرةً إلى ضريبة الخُمس الإسلامية، التي من المفترض أن تكون مرتكزةً على القيمة المالية للقاياهم، من الصعب فهمُ كيفية عملِ هذا النظام، وآملُ يوماً ما أن تُكتشف تفاصيل أخرى. صفحة الآراء أشارت أيضاً إلى أنَّ المصدر محجوبٌ لأسباب أمنية.

إذاً، ماذا نستطيع أن نفعل؟

كما تقرَّر عام ألفين وأحد عشر، فيما يتعلقُ بحماية الميراث الثقافيّ المصريّ SAFE (جمعية إنقاذ الآثار لكل الناس)، يُعتقد أنه كي نكبحَ جماحَ النهب في سورية، يجبُ أن يُرفضَ الطلب على الموادِّ المسلوبة.

في مقابلته الأخيرة مع نيويورك تايمز

يقول ساموبل هاردي – من (مؤسسة البحث التطوعية) جامعة لندن، ومؤلف كتاب "صراع الآثار": "هناك كميةٌ ضخمةٌ من الآثار قد خرجت من سورية. فلدى بعض الثوار فرقٌ متخصصة بالنهب، كذلك يستخدم النازحون تماثيلَ صغيرة وقدور وزجاج كعملة عالمية".

إليكم فكرة:

هل من الممكن للمتاحف وجامعي التحف أن يتوافقوا عن التعامل بالآثار السورية حتى عودة الاستقرار؟ لمدة يوم أو نصف يوم؟

في الواقع، بما أن عمليات نهب الآثار تجري لتغذية تجارة التحف المحظورة، وهي اهتمام عالمي يؤثر حتى على دول العالم المتقدمة مثل فرنسا وفنلندا، فلماذا لا نتوقف إذاً عن امتلاك كل التحف بدون تاريخ ملكية مناسبة - حسب القانون الصادر عام 1970؟ إن إيقاف التعامل، المؤسس على قاعدة (عالمية) عريضة، سيخفف من عبئ الإثبات بأن التحف نهبت حديثاً، بروح اتفاقية اليونسكو 1970.

القائمة الحمراءُ لاستشاريةِ المتاحف العالمية (ICOM) تُزود بدليلٍ لأنواعٍ معينةٍ من المواد حول العالم تكون أكثرُ تعرضاً للخطر، وتحتاج مساعدةً لتقرر أي مواد تتجنبها، حتى وإن كان للحظة.. هذه ستكون لمحة رمزية للنية الحسنة من جانب المرتبطين بشراء التحف التي تُدمَّرُ بالجملة، ولدعم نشاطاتِ المدمرين أنفسهم في بعض الحالات.

بعد كلّ هذا، المتاحفُ وجامعو التحف هم الذين يخلقون الطلب على التحف. هل من الممكن إقناعُهم باتخاذ خطوةٍ للوراء، لتكريم الحاجة إلى حماية هذه الآثار التي صُنعت في ماضينا، وعدم تدمير كلِّ هذا الإرثِ الغني؟

هل من الممكن أن نقفَ جميعاً مع بعض بلحظة صمتٍ رمزية، لنعترف بتلك اللحظاتِ المأساوية، كتدمير قلعة حلب والصروح التاريخية المجاورة لها بالمتفجرات، ومهاجمةِ ونهبِ المواقع الأثرية في البلد، ونهبِ أكثرَ من خمس متا حف ؟

هذا سيرسل رسالةً واضحة إلى العالم بأنَّ التدمير الجائر للميراث الثقافي يجب أن يُدان ويُوقف، بغض النظر عن أيِّ جانبٍ من التجارة نحن عليه، ويمكن أن نوضحَ التزامنا الكليَّ بالماضي من أجل مستقبلنا، بعدم مساعدة وتحريض تدمير ميراثنا المشترك، مع أو بدون وجودِ القوانين والتنظيمات.

* هيذر لي: باحثة زائرة في SAFE (جمعية إنقاذ الآثار لكل الناس). نشأت وترعرعت علمياً في معهد "Amherest". تهتمّ بالتاريخ والفنّ والدراسات الأوربية، حيث يتركز نشاطها الرئيس حالياً في مجال منع النهب والنقل غير الشرعي للآثار، وتطوير القوانين والسياسات الدولية فيما يخص هذه القضايا. تأمل أن تجلب تجاربها الماضية في مختلف المتاحف الفنية قدرة أفضل على فهم كيف يمكن للاعبين المختلفين في مجال عالم الفن والآثار أن يتعاونوا من أجل حماية المواقع الأثرية والمواد الثقافية...

ينشر هذا المقال بموافقة موقع SAFE، وهو موجود بلغته الأصلية (الإنكليزية) على الرابط التالي:

http://www.savingantiquities.org/heritage-crisis-syria-call-temporary-moratorium-trade/

أقوال

أشياؤنا تموتُ مثلنا لكنها لا تُدفن معنا.
محمود درويش

لست تابعاً لأحد، أو ضحية أحد
أنا
رهينة ما أؤمن به، ومن ذلك أستمد حريتي.
ي.ح.

الموت مثل السبِّ والشتائم يعيد ترتيب الكرامة فينا.
علوان السهيمي

لا تسل عما يمكن لبلادك أن تقدم لك، بل عما يمكنك أن تقدم لبلادك.
جون كينيدي

المغلوب مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه وبخِلَعه وسائر أحواله وعوائده.
ابن خلدون

لا تسرع ، إني مستعجل
وينستون تشرشل

العدالةُ هي في قلب الإنسان، فإذا لم توجد فيه فلا وجودَ لها على الإطلاق.
علي عزت بيغوفيتش

يسحب الغليونُ الحكمةَ من شفتي الفيلسوف، ويغلق أفواه المجانين
ثاكري

يترك الجاموسُ جلده بعد موته، ويترك الإنسان سمعته.
مثل فيتنامي

عندما تكون الحقيقة عاجزةً عن الدفاع عن نفسها، فإن عليها أن تتحول إلى الهجوم.
برتولد بريشت

يمكن أن يحيا المفكر والفنان في شخص واحد دون أن يعرف أحدهما الآخر، وذلك شبيه في العلم والاعتقاد، إذ يظلان في بعض الأذهان شكلين منفصلين للتقويم.
بول فاليري

حرب. حرب. حرب

شعر: رياض الصالح الحسين*

عاشق ذاهب بين حشرجة النازحين
وحشرجة الكلمات
عاشق مثل هذي البراري المدمَّاة والجثث
الذهبيَّة
يخرج من زمنٍ ليغنّي
ويدخل في وطنٍ ليغنّي
يبتاعُ أرغفةً ومعاول
يبتاعُ أرصفةً ومعامل
يبتاعُ حزناً شديداً
ودبَّابةً سقطت بين فكَّيْ زهرة دفلى
يبتاعُ قبراً وسيماً لطائرة
وغصوناً خضراءَ من فرح أبديّ
للعاشقات

عاشق ذاهب بين حشرجة النازحين
وحشرجة الطلقات
عاشق قال:
هذه هي الحرب
تخلع قمصانها الخشبيَّة
تكشف عن عريها الحشريّ:
دماء وأرصفة
ودفاتر مبتلَّة بالنشيج
دماء وعاشقة ودفاتر مبتلَّة بالدماء
دماء وأرغفة
وأساور ضيّقة
ومآذن واسعة
وطيور تهاجرُ...
مجزرة وشعوب
مجزرة وزهور
هذي هي الحرب تفتح نافذة الحبّ للقاتلين
وللعاشقين ستفتح نافذة للقبور

في الحروب التي ذهبتْ
في الحروب التي بقيتْ
في الحروب التي حاولت أن تجيء
كان وجه أليف لعاشقة يتمرَّغ في الرملِ
والألم الطبقي
كانتِ العاشقات الوسيمات يخرجنَ
للشرفاتِ
ويعرضنَ أجسادهنَّ المدمَّاةَ لله
والله كان يجيء القرى وبصحبته الجند
كان يعبّىء مئزره الملكيّ حروباً وينثرها
في البيادر
كانت بيادر من فضَّة ومواعيد
كانت بيادر من فضَّة

ثمَّ كانت حروب
وهل تذهبين إلى البيتِ
أم تذهبين إلى الموتِ
هل تذهبين إلى العشبِ
أم تذهبين إلى الحربِ
كنَّا نسير نسير وتثقبنا الطلقات
وكنَّا نسير نسير بدائرة قطرها ألف حزن
يداً بيد ونغنّي
يداً بيد ونموت
ويا أيُّها الموت لا تأتِ في الصيف
إنَّ الطيور تشاطرنا الصيف
يا أيُّها الموت لا تأتِ في مطر خائف
وبعيد
لا تأتِ
فالأرض عطشانة
والمواسم مكسورة
والشعير سينضب
والعاشقات سيبكين عشاقهنَّ
ولا تأتِ... لا تأتِ
لكنَّهُ الموت يأتي
ولكنَّها الحرب تأتي بهيئتها الحشريَّة
تدخل من ثقبِ بابٍ
ومن ثقبِ نافذةٍ
تتناسل في حانة – صحف – كتب
تتناسل في جثث العاشقات
ثمَّ تنده للقاتلين: «استريحوا...
استريحوا»
وتطعمنا البؤس والطلقات

عاشق قال:
بعد نهارين من تعب ورصاص
تجيء من الأرض عاشقة
وتمدُّ يديها إلى مطر وإجاص
تمدُّ يديها إلى الماء
تغسل ألسنة الخطباء وألسنة الرقباء
تسجّلُ أرصدةَ الفقراء التي ابتلعتها
الحروب
على دفترٍ شجريّ
تمزّق قبَّعة الجنرال
وقبل مسائين من مطر وإجاص أرى:
تحت قبَّعة الجنرال قرىً مصمصت عظمَ
أطفالها
ويدين تقطَّعتا
وأرى تحت قبَّعة الجنرال:
دمًا ساطعاً
وجماجمَ مكسورة تتهجَّى حروف
وفي كل حرف مشاريع من حلم فاسد
وأرى تحت قبَّعة الجنرالات
مشروع حرب على الزهر
مشروع حرب على النهر
مشروع حرب على الفقراء
وبين يدين تقطَّعتا
يهرب العاشقون من العشقِ
والميّتون من الموت
والفقراء من الفقر
من ثمَّ تسقط قنبلة ويجيء الغزاة الأشدَّاء
من كأس شايٍ وسيجارة وصباح
ومن كأس شايٍ وسيجارة تبدأ الثورة
العالميَّة
أو تبدأ الأمنيات الكثيرات
يبدأ الخطباء خطاباتهم
والجنود رصاصاتهم
ثمَّ أفرغ من الحزن
أقذفه تحت قبَّعة الجنرال
وأركض في مقتل لا يحدُّ
أنا الآن مقتنع ببلادي
ومقتنع باضطهادي
وفي زمن لا يحدُّ أرى من أحبُّ على
شاطئ
تستريح من اليأس
تسألني عن مكان لذيذ بلا شرطة
نتبادل فيه الأناشيد والقبلات
أجيب: هو البحر
قالت هو البحر. قالت هو البحر
وابتسمتْ.

* وُلِدَ رياض الصالح الحسين في مدينة درعا (١٩٥٤/٣/١٠) لأب موظف بالجيش من قرية مارع شمالي حلب.. منعه الصم والبكم من إكمال دراسته، فدأب على تثقيف نفسه بنفسه. اضطرّ للعمل مبكراً بسبب ظروفه المعيشية الصعبة.. صدرت له أربع مجموعات شعريّة: "خراب الدورة الدمويّة"- "أساطير يوميّة" - "بسيط كالماء واضح كطلقة مسدّس" - "وعل في الغابة". توفي في مستشفى المواساة بدمشق عصر يوم ١٩٨٢/١١/٢١.

نهاية مطبخ

قصة مصطفى تاج الدين الموسى*

.1

ثم هبطت قطرةٌ سابعة، على إثرها حبلُ ماءٍ شرع بالهطول.
قالت الحفرة: أنت خلقتني.
أجاب صنبور الماء: لم أخلق شيئاً.. المرضُ، ذلك الكائن اللعين هو الذي خلقك.

.2

طفلٌ له مزاجٌ سلبيّ، وفراغاتٌ بين أسنانه، أرهق الانتظارُ روحه. زوجٌ بعينين جاحظتين وبنصف ذقنٍ ونصف سيجارة. زوجةٌ كوردة أصابها الذبول بوجهٍ شاحب، يؤرّقها نهدها شبه الطازج لقلّةِ استخدامه، شبحٌ لا مرئيّ يجلس بصمتٍ في تلك الزاوية، وهو يصغي بكل خلاياه، ولا شيء يجيده سوى الإصغاء.
الثلاثة تجمّدت أجسادهم مقابل شاشة التلفاز، يترقبون بشوق بثَّ حلقةٍ جديدة من المسلسل الدراميّ اليوميّ.. نشرة أخبارِ هذا المساء كانت طويلةً للغاية، فمساحتها قد التهمت وقتَ بثّ المسلسل اليوميّ.. نشرة هذا المساء، تغطي زيارة رئيس البلاد لرئيسٍ في بلادٍ بعيدة.
الزوج يعبث بعلبةِ التبغ، يحصي سجائره.. يطمئن، فيشعل أخرى.
الزوجة تصنع كأساً من شاي ثقيل، تضعه لزوجها جانب صحنِ السجائر.. ترجع حيث تجلس مكانها كما كانت.. تتأمّل في فراغ الجدار. فشلَت كأسُ الشاي الثقيل، مثلَ كل محاولاتها السابقة، بأن تُذكِّر زوجها بوجود شيء ـ في هذه الغرفة ـ اسمه زوجة!
الطفلُ يصل دمه حتى رأس أنفه، يستدير رأسه لينظرَ بحنقٍ إلى ساعة الجدار.
عند الزاوية شبحٌ لا مرئيّ يلوكه الملل وكأنّه قطعة اللبان المفضلة عنده، يناجي اللهَ في سرّه كمتسولٍ، أن يحدث شيئاً ما في هذه الغرفة يستحقُّ الكتابة.

.3

- أبارك لكِ.. أنت الآن خارج حدود المطبخ!

بفرحٍ تنظر كأس الشاي الصغيرة لصحن السجائر.. بفرحٍ ينظر إليها...

.4

نهضَت داخلَ ذاكرته صورٌ من احتفالات الأسبوع الماضي، أسبوعٌ كان ممتعاً له ولبقيّة التلاميذ.
صباحاً مدرسةٌ دون دروس، فقط اللهوُ في باحة المدرسة على صدى الأغنيات الوطنيّة، ومساءً الركض بكل صخبٍ بين الحشود في ساحة المدينة.
بائع اللافتاتِ. كما ظنّه. أعطاه واحدةً ولم يسأله ثمنها، رفعها سعيداً بعد أن فشل بإدراك معناها.
كان يتذكر عندما نظرَ إلى الشاشة مجدداً، داخلها لا يزال رئيسُ البلاد يشرحُ لصديقه، صورة بلا صوت.
الطفلُ يتمنّى من الصديق أن يفهم بسرعة، من أجل المسلسل الدراميّ. لكنّه سرعان ما يئس، فالشرح مستمرٌ منذ ساعةٍ ونصف، ويبدو أنّ هذا الصديقَ لا يستوعب بسرعة.. تماماً مثلَ خالدَ في صفه. عندئذٍ استدارَ إلى والدهِ وسأله بغيظ:
. الأسبوع الماضي.. هل وضعتَ اسم الرئيس داخل الصندوق؟
تساءل بحنق.
كانت هذه السيجارةَ الأولى في حياته، يقذفها وربعها الأخير لم يحترق بعد.
ساعدُ الأب ترتفع بقبضةٍ مشدودة.
- نعم.. نعم.. نعم...
مثل آلةٍ، تعلو القبضة، تنخفض.. تعلو، تنخفض.. الزوجة تراقب بريبةٍ طفلاً يجلسُ قربها، بزاوية عينها.. سؤالٌ من حيرة نبت داخل رأسها:
- أين شاهدتُ هذا الطفلَ قبل الآن؟
- أريد أن أنام.
تمتمَ بغضبٍ ثم استلقى هذا الطفلُ جانب الجدار، على مستطيلٍ من الإسفنج، ليتدثَّر بلحافٍ شبهِ متهرئ.
البرودة ترجع إلى ملامحه فيرجع الزوجُ ليحصي ثانيةً عددَ سجائر علبته، يمتعضُ.. أصابعه تلتقطُ عن الأرض مؤخرةَ السيجارةِ المقذوفة، وبلا اعتذارٍ يشعلها ثانيةً، وهو يصغي بعمقٍ لتلك الصور الصامتةِ في نشرة الأخبار.
شبحُ الزاوية اللامرئي ـ يكادُ يبكي ـ هو أيضاً يصغي منتظراً شيئاً لم يحدث بعد ليكتبه.

.5

مرضٌ لا يملك اسماً، ذات يوم انتصب على مستطيل المجلى، تخيّلها بهدوء ثم همس: "كوني". فبُعثت الحفرة حيّة ترزق، عندئذٍ قبّلها المرض قبلةً مقدّسة، مباركاً بها ولادتها على يديه!
وبثيابٍ عسكريّة صار المرضُ يتجوّل في أرجاء المطبخ، مانحاً كلَّ الأشياء الموجودةِ فيه وعداً بالغرق.. كل الأشياء كانت إذا سمعت وعودَ المرض بالغرق، تمنحه تصفيقاً حارّاً.

.6

- مضت ساعتان من الشرح، الرئيسُ لم يُشعل حتى الآن سيجارة!
الزوجةُ هكذا باحت لقلبها، ثمّ أرسلت نظرة عشقٍ عبرَ سحائب الدخان من عينيها إلى شاشة التلفاز. هناك حيثُ الرئيسُ منهمكٌ بلا سجائر في الشرح لصديقه ذلك.
سيجارةٌ تطل برأسها من علبة التبغ، الزوجُ لم ينتبه لها.. الزوجة تراقب بغيرةٍ هذه السيجارة.. السيجارة تضحك، الزوج لم يسمع شيئاً، الزوجة سمعت تلك الضحكاتِ التي أغاظتها كثيراً. السيجارة تُخرج لسانها من فمها وتحرّكه أمام الزوجة، ثم تهمسُ لها بثقة:
- إنّه مغرمٌ بي.. أنت لا يحبُّك، سيتركك قريباً.. لقد تزوجني وسنعيش مع بعضنا إلى

الأبد.
كلمة (الأبد) أرّقت روحها، الزوجة تحاول أن لا تُصدِّق كلامَ السيجارة، صار الشكُّ يركلها بين جهاتها، وهو يلهو بتقطيع أعصابها.
الزوج عيناه الباردتان مصلوبتان على الشاشة، الزوجة تنهض لتمشي حتى الخزانة.. بحثاً عن يقين، تأخذ عن الرف دفترَ العائلة.. تقلّب صفحاته القديمة. على الصفحة الأولى تقرأ اسم زوجها، على الثانية تقرأ اسمها. فتعجبها موسيقى حروفِ اسمها، اسمُها الذي لم تسمعه في هذه الغرفة منذ زمن طويل.
في الصفحة الثالثة تشاهد اسم السيجارة، ترجع منكسرةً، لتجلس وثمّةَ حزنٌ يفوحُ من روحها المهجورة، ثمّ تعلّق عينيها فوق الفراغ الممتدِّ على الجدار، محاولةً تجاهل صدى ضحكاتِ السجائر. صوتُ بكاءٍ خافت، يصدر عن شبحٍ لا مرئيٍّ في تلك الزاوية من الغرفة.

.7

لبعض الأشياء صفة الأبديّة: الله، الشيطان، المرض، وهذا التصفيق. ولأشياءَ أخرى صفة الموت: حاسة البصر، المطبخ، هذه القصّة وصاحبها.

.8

لأوّل مرّة في حياته، يخلق له قدره هذا الكمينَ المحكم، سيسقط خلال الصورتين، خطأ لم يقترب منه لسنواتٍ، ومثلَ الكثيرين يحذرُ من هكذا أخطاء قد لا تمرُّ على خير.. هذا الخطأ ـ وبين صورتين ـ سيقترفُه الآن عن غيرِ قصد.
هناك.. داخلَ شاشة التلفاز، يظهر كتفُ رئيس البلاد من الخلف وهو يصافح بحرارةٍ صديقه رئيسَ البلاد الأخرى.
الزوج ظنّ أنّ الفرصةَ مناسبة، فتثاءبَ بفمٍ فتحه على آخره وكان النعاس قد أرهق عينيه، فجأةً يغلقه إثرَ تحوّل الصورة عن الكتف إلى وجه الرئيس.. يصرخ قلبه فزعاً:
- أنا آسف.
شبحٌ لا مرئي عند الزاوية ـ كاد أن ينتحرَ منذ ثوان ـ سمعَ وشاهد التثاؤب فقط.. ناسياً كلَّ علاماتِ الترقيم، بدأ يكتب بفرح.

.9

شابٌّ يملك جسداً رشيقاً يرتدي ثياباً زاهية، له ذاتُ وجه الطفل ذي الفراغات بين أسنانه. يتسلى بالتهام رغيفٍ مصنوعٍ من الشكولاته خلال قيادته لسيارةٍ فارهة. يحلو له العبثُ بمكابحها عند كل منعطف، ثمّ تتوقفُ السيارة أخيراً أمام مركزٍ للاقتراع، أحدهم يفتح له الباب، فيترجلُ بكثيرٍ من الهيبة.
داخل المركز يأخذ ورقة انتخابٍ، وبطرفِ قميصه يمسح آثار الشكولاته عن فمه. يتريّث فلا يضع الورقة داخل ثقب صندوق الأوراق، يفتحها مخالفاً بهذا قانونَ تجديد البيعة.
يمسك قلماً ليرسم بهدوءٍ إشارة ضربٍ على اسم رئيس البلاد، ثم يكتب عليها اسم المسلسل الدراميّ اليوميّ.

.10

داخل المطبخ ردّدتِ الجدران صدى ارتطام قطرة ماء، هطلت عن الصنبور إلى أرض المجلى.. صنبور الماء.
"تهطل قطرة ثانية".
يعاني من..
"تهطُل قطرة ثالثة".
مرضٍ كثير البشاعة..
"قطرة رابعة".
منذ زمنٍ طويل..
"قطرة خامسة".
لهذا تكوّنت أسفله..
"سادسة".
حفرة عميقة..
"سابعة".
إنّه يحتاج لـ...
صنبور الماء ينفجر بالبكاء، أشياء المطبخ كلّها تدخلُ في الغرق، متسلِّحةً بالتصفيق.

.11

بمجمل طاقاتي العقليّة والجسديّة، فقط أستثني حاسةَ البصر. الآن.. هذه القصّة أخطُّها، إثرَ انقضاء زمنٍ ـ أوسعَ من حياتي ـ منذ أن ظهر المرض داخل مناخِ المطبخ.
لا تسألني كيف سينتهي هذا المرض، لا أعرف.. لن أكون أبديّ الوجود. لا تسألني كيف بدأ هذا المرض، لا أعرف.. كاتبٌ حديثٌ للقصصِ أنا. يمكن، كاتبٌ قديمٌ للقصص أن يعرف، وأيضاً.. قد لا يعرف.

.12

شيءٌ ما.. يشبه طفلاً، لديه فراغاتٌ بين أسنانه، نائماً فوق الإسفنج. على فمه ترفرف ابتسامةٌ هادئة.
شيءٌ ما.. يشبه زوجاً بنصفِ ذقنٍ، يشعل سيجارةً لا يعرفُ رقمها سوى الله. شيءٌ ما.. يشبه زوجةً، تتوغّل عيناها الصامتتان في فراغ الجدار، تتخيّل نهدَها يمارس حقّه في الحياة.
شبحٌ لا مرئي واقفٌ عند الزاوية، ينوي الرحيل متأبّطاً أوراقه الثلاث.
على الأولى: شرحُ أسباب التثاؤب في حضرةِ الصورة.
على الثانية: كتبَ ذلك الحلمَ الملوّث با لشكو لا ته .
على الثالثة: رسمُ حجم ابتسامة هذا الطفلِ المشاغب.
ثمّ مشى سعيداً بضع خطواتٍ، عندئذٍ ـ وصدفةً ـ تعرقل بصحن السجائر، فسقط.
لينكسر الشبح اللامرئي إلى جزأين:
الجزء الأوّل تدحرج حتى دخل في رأس الزوجة.
الجزء الثاني تدحرج حتى دخل في رأس الزوج.

* مصطفى تاج الدين الموسى: صحفي وقاص سوري درس في كلية الإعلام بجامعة دمشق. صدر له مجموعة قصصية "قبو رطب لثلاثة رسامين" في طبعتين بالشارقة وسورية. حاز على عدة جوائز أدبية محلية وعربية، وترجمت بعض قصصه للإنكليزية والفرنسية والإسبانية. وله أيضاً أكثر من مخطوط قصصي ومسرحي قيد الطباعة.

سأحبّك من تحت التراب

د. علي حافظ

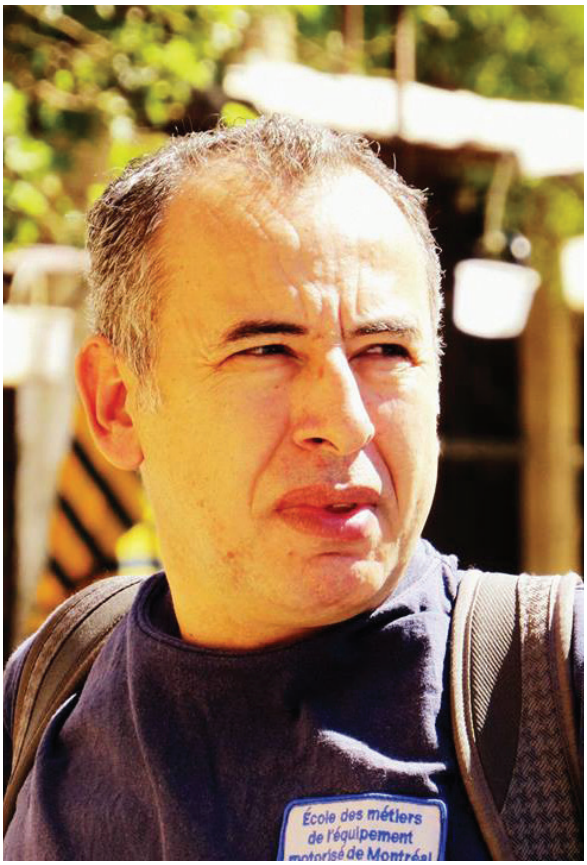

ربّما لم يكره أحدٌ الثّورةَ مثلكِ لأنّها أخذتني منكِ؟ ربما لم يحبّ أحد الثّورة مثلي؛ لأنها أعادتني إليكِ؟!
في زمنٍ ما – قد يطول وقد يقصر – ستأتين خضراءَ كالحقول، ترتدين غيوماً بيضاءَ مضرّجةً بشقائق النّعمان، تكشف عن رقبتكِ الثّلجيّة وهي تدير نحوي وجهاً ملائكيّاً تنفرج شفتاهُ القرمزيتان كقاربٍ أسطوري يشقّ عُباب أمواج العمرِ المنسحبة إلى شاطئ الغروب؛ وسآتي أنا بوجه محروقٍ كالفحم تنبت فيه شعيراتٌ شعثاء طويلة، أرتدي أسمالاً من الغبار والدّخان والبارود.. ستفوح منكِ الرّوائح العطرة والأنفاس العبقة، بينما ستفوح مني رائحة العرق ومرارةُ الحلق!
ستأتين من بيتٍ نظيف مرتّب، وتسيرين عبرَ طرق مستوية وحدائقَ ملوّنةٍ تزقزق عصافيرها ويهدلُ حمامها وترقص نوافيرها على أنغام فيروز الصّباحية؛ وسآتي أنا من غرفة قذرة رطبةٍ مسودّة بدخان الحطبِ الرّطب، قاطعاً شوارع وأزقّة ضيّقة ممتلئة بالحفر والمتاريس والدّشم وركام الأنقاض، الّتي ما زالت تحتفظ بجثثٍ قد تفسّخت ولم يستطع أحدٌ انتشالها!
ستأتين نضرة الخدّين، عامرة الصّدر، متفتّحة كوردة لامست الشمسُ بشرتها النّديّة للتوّ؛ وسآتي أنا عابساً شاحباً مكروباً مكتئباً، أحمل برداً شتائياً قارساً جمّدَ جسدي إلى الأبد.
ستأتين مرفوعةَ الكتف، مشدودة الظهر، مرتاحةَ البال، تضجّين بدفء الحبّ وجمالِ الكون؛ وسآتي أنا متهدّل الجسم مقوّس الظّهر، متعباً من سهر اللّيالي في سراديبَ وأنفاقَ وخنادقَ مشبعةً بالعفونة والرّطوبة والبارود والغازات السّامة...
ستأتين من السّماء كطائرٍ مهاجر اشتاق إلى عشّه القديم؛ وسآتي أنا من لجّة الماء العكرِ كالميدوزا..
ستأتين لذيذة كفاكهةٍ صيفيّة ناضجة تبتسمين لأوّل يد تلمسك؛ وسآتي أنا جافاً يابساً منهكاً من كثرة التّفكير، وأرقِ اللّيالي الطّويلة، وبعد المكان...
ستأتين فرحةً متلهّفة تُجمّلين الشّوارعَ بمشيتك على وقع نقرات كعب عالٍ لحذاءٍ نظيف ملمَّع، والريح تُراقص ثنايا ثوبكِ المزركش؛ وسآتي ببدلةٍ عسكريّة وسخة، وبسطارٍ مُشبعٍ بالأتربة وأسى المسافات، وأصواتُ الرّصاص والقذائف لا تفارق سمعي مطلقاً.
ستأتين بروحٍ بيضاءَ نقيّةٍ خالية من الهمّ والغمّ والشّوائب؛ وسآتي بروح صفراءَ انغرست فيها أشواكُ الأصدقاء وخناجر...

ستأتين إلى ساحة "سعد الله الجابري" الّتي كنّا نلتقي فيها، لكن هذه المرة دون خوفٍ من أعين الأمنِ والشّبيحة، لأنّنا سنكون قد حرّرناها وتخلّصنا من عبودية آل الأسد المقيتة.. ستنتظرين هذه المرة تحت سماء زرقاءَ خالية من الطّائرات وصواريخها المتفجّرة، ومن المروحيّات وبراميلها الحارقة، حتى آتيكِ إلى المكان نفسه. قد أكون مصاباً، أو مشوّهاً، أو مُقعداً، أو أجرّ نفسي متثاقلاً بساقٍ واحدة وعكّاز يسندني حيناً ويتركني أسقط حيناً آخر، أو مريضاً هزيلاً مصفرّاً كورقة خريفيّةٍ مهملة لا يلتفت إليها أحد، أو مصرّحاً بالدّماء ألفظُ أنفاساً متقطّعة أخيرة؛ أو قد أكون جثّة عاريةً هامدة لامبالية بشيء.

عندما سآتي هذه المرةَ سأكون حرّاً طليقاً مرفوع الرأسِ عالي الجبين..

سيقولون: كان ثائراً شهماً عزيزَ النفس، كان فارساً نبيلاً مخلصاً شريفاً ممهوراً بحبّ الوطن والحريّة. وقد يصمتون ولا يقولون شيئاً؛ أو – ربّما – يشمتونني بأبشع العبارات؛ أو – قد – يصفونني بالإرهابيّ؛ أو المرتد؛ أو يسخرون من موتيَ الرخيص!

ستأتين عروساً بثوبك الأبيض، لكن لرجل آخر، لأنّك ستكونين قد فقدتِ الأمل بعودتي؛ وسآتي أنا أيضاً عريساً بكفنٍ أبيض، لكن لعروسٍ أخرى هي أرض بلادي الحرّة الأبيّة الّتي ستحتضنني بدفءٍ وحنان ومحبّة بعد غربة طويلةٍ باردة، أرضٌ ستسير عليها قدماكِ ذات يوم بأمانٍ وسلام.. هذا الّذي سيمرّ أمام عينيكِ ملفوفاً بعلم الاستقلال (علم الثّورة) سيكون نعشي!

لو فكّرتِ وغصتِ ذاكرتكِ قليلاً ربّما تذكّرتِ رجلاً أحبّكِ يوماً، وأخبركِ بأنّه سيلتحق بالثوّار من أجل الدّفاع عن البريقِ السّاحر في عينيكِ، عن الحبِّ الّذي زرع بذوره في قلبكِ، عن الأمل الذي غرسه في أفقكِ...

إن لم تتعرّفي عليّ سأرفع يدي من تحت الكفن وألوّحُ بها مبتسماً، حتّى تتعرّفي من جديد على ابتسامتي وقد ازدادت جمالاً بعد موتي.. ربّما تبكينني بعيداً في الخفاء وتتألّمين لذكراي؟ ربّما يكون حبّك قد مات من طولِ المسافة والغياب والحواجز والعقبات؟ ربّما لن تتذكّري شخصاً أحبّكِ حتّى الألم، ومسح دموعَك لحظة المغادرة؛ فذاكرة الناس أصبحت منذ زمنٍ كذاكرةِ الأرانب؟!

لكنّني ما زلتُ أحبّكِ.. أحبّكِ من تحت التراب؛ فلم يبقَ لي شيءٌ غير هذه الأرض العارية المكلومة الغارقةِ بدمِ رفاقي المغادرين.

إن لم تأتِ فسآتي أنا.. سآتي حتماً؛ وأفتحُ (طلّاقاتٍ) في كلّ جدرانِ المدينة حتّى أصلَ إليكِ.. سآتي حتى لو كنت ميتاً!

لابدّ أن تأتي لأنّني أحبّكِ!

سأمدُّ لكِ يدي من تحت التراب لتساعديني على الخروج.. ستكون السماءُ خضراءَ، وأنت ستكونين بالأسود الحزين؛ بينما سأكون بالأبيض، وجروحي تنقشُ على كفني ثلاث نجماتٍ حمر.. سيكون عرساً لا يُنسى!

التشكيلي منيف عجاج وألق الديكتاتور!

إياد الدمشقي

يتجلّى ألقُ الديكتاتور بأبهى صوره وأكملها – عربياً – لدى ملكِ ملوكِ إفريقية (معمر القذافي) المدفون في صحرائِها المجهولة. شكلّت ظاهرةُ القذافيّ مادةً دسمةً للباحثين النفسيين والتشكيليين والمسرحيين... قال لي أحدُ الأصدقاءِ يوماً: "لو أن القذافي توجه ليكون ممثلاً مسرحياً هزلياً لكان أبدعَ في هذا المجال ولأسعدَ الملايين"؛ وأظنُّه كان محقاً في ذلك!

هذا الملك، ومن (إدراكه) أنَّ على الديكتاتور أن يكونَ واعياً ومستعداً لتلك اللحظاتِ التي يجبُ عليه فيها مواجهةُ الجمهور، بحيث يرى – أي الجمهور – هيئةً جسمانيةً خاصة، ويسمع كلماتٍ خاصة.. إذاً لا بدَّ له هنا – في تلك اللحظات – من تقمُّصِ هذه الحالةِ وجدانياً، والتفنّنِ والتلونِ بكلِّ ما يُخالجُهُ من بدع لدرجةِ الانصهار، أي الاندماج في نشاطٍ يستبعدُ الوعيَ بالواقع الحقيقي.

وهذا ما فعله، لكنَّ هذا قد أثَّرَ على صحتهِ العقليةِ من ناحيةٍ أخرى!

كذلك، فإنَّ بشارَ الأسد وريثَ العرش، والذي أراه ابناً لا شرعياً للقذافي؛ شكل موضوعاً مهماً للمختصين عينهم، وإن اختلفَ الإخراجُ بحكمِ الضرورة، إلا أن المنطلقَ العُقَديَّ لديهما واحد. وبدرجة أقلَّ لدى باقي الديكتاتوريات السابقةِ في عالمنا العربي.

إذ اهتمَّ هؤلاء بالوضع الجسمانيّ والإبرازِ الصوتيّ والإيماءات، وتفنَّنُوا في ذلك، وفعلوا تماماً كما يفعلُ الممثلونَ، لاسيَّما من ناحيةِ ضرورةِ الشعورِ بأنفسهم داخلَ الدورِ الذي يلعبونه.

هنا تحديداً تدخَّلَ الفنان (عجاج) لُيقدَّمَ رؤيتَهُ الملتصقةَ بالواقع، والممتلئةَ بذاكرةٍ انفعاليةٍ قاسيةٍ في محاولةٍ جادةٍ منه لترتيبِ الأدوارِ وإعادتها لسياقِها الحقيقيّ، وذلك انطلاقاً من رؤيةٍ فنيةٍ تشكيليةٍ خالصةٍ وصادقة.

فهل للديكتاتورِ والمستبدِ ألقٌ ما في لوحاتِ عجاج؟

أرى أنه ألقُ الفنانِ في تشكيلِ شخوصِهِ وإخراجِ لوحتِهِ، فمع الجمالِ التشكيليّ للمشهدِ القبيح، ضمنَ تناقضٍ فنيّ مشروع، استطاع عجاج – متهكماً – أن يفيَ المستبدَ حقَّه، مجسداً تلك الهيئةَ الجسمانيةَ في إطارِ واقعِها الحقيقيّ، حيثُ تخبو الرجولةُ وتتبدَّى الهشاشةُ: لا فلسفةَ زائدةَ في اللوحة، لا تزين، لا تبرُّج، لا ادعاء.. فقط من خلال فلسفةِ الفنان النابعةِ من رؤيةٍ عميقة، وبأسلوبٍ مميزٍ وخطٍّ جريءٍ عنيفٍ اعتمدَ الفكرةَ الواضحةَ الصريحة، استطاعَ تشكيلَ

شخوصِه بصدقٍ واجتذابَ انتباهِ المتلقي إلى أصواتِها وكلماتِها، وربّما إلى شيءٍ آخرَ يقعُ في دائرةِ تأثيرِها.
على مساحة اللوحةِ أو أجزاءَ منها، في زواياها المثقلةِ، يلعبُ المستبدُّ وحاشيتُهُ دورَهم الحقيقيّ على خشبةِ مسرحِ الحياة. فبعد أن فكَّكَ مفاصلَ جبروتِهم وتلافيفَ أدمغَتِهم، ثمَّ أعادَ تشكيلَها حتى تبدَّى زيفُهم وبانَ مكمنُ الضعفِ فيهم، وصولاً إلى تعنيفِهم والافتعالِ بهم، استطاعَ بحنكتِهِ أن يصلَ بهم إلى هدفِهِ المرجوّ. وأيضاً خطَّ أثرَهم في عمومِ الإنسانِ المقهورِ المذبوحِ المسلوبِ المجردِ من كلِّ شيءٍ، لاسيّما كرامَتِه.
في تعنيفِه للمستبدِّ لا يستثني عجاج أحداً، فكلُّ من رفعَ الاستبدادَ شعارَهُ وسلاحَهُ الأمضى كان له نصيبٌ من لوحتِه، ولكلٍّ من تاجر بالإنسانِ - زاويةٌ وضربةٌ جريئةٌ من خطوطِه ومساحةٌ تناسبُهُ من ألوانه. لقد وجد في هذا بيئةً مناسبةً لبحثِهِ وسعيِهِ الدؤوبِ لإنقاذ الإنسانِ والقيمةِ الإنسانية.
ومع تحريرِهِ لذاكرته وانفعاله لا ينسى عجاج، في محاولتِه المستمرة لقهرِ الاستبدادِ بكلِّ أشكالِهِ وألوانِهِ، أنَّه يخوضُ معركتَه ضمنَ واقعِ لوحتِه التشكيليّ؛ حيثُ للوحةِ اتزانُها وضوابطُها وشروطُها... ونحن أمام لوحته ندركُ كم استساغَ أدواتِ معركتِهِ تلك، لاسيما وأنها قديمةٌ تعودُ لبداياتِهِ الأولى؛ فقد خاضَها وحيداً في مرسمِهِ الدمشقيّ بالمهاجرين قبل الثورة ومع انطلاقتها، ومازال إلى اليوم يخوضها في (معتركه) الباريسيّ البعيد.
إذاً الإنسانُ المقهورُ المعذبُ وما يرتبطُ به من دوافعَ وأسباب ونتائج، لاسيما الديكتاتورية وتوابعها، بل الاستبداد بكل أشكاله ولَبُوسِه – السياسيّ، الاجتماعيّ، الدينيّ... – شكَّل ارتكازاً لمنطلق عجاج في فضائه التشكيلي، وقد اهتمَّ على نحوٍ خاص بتلك الأشياءِ التي تخصُّ الحالاتِ النفسيةَ غيرَ السوية.
ومن شعوره وإحساسِه المفعمِ بالوحدةِ والعزلةِ بين الذاتِ والعالمِ الذي تعيشه تلك الشخصيات، استطاع أن يحرّرَ قواهُ الخاصةَ بالغريزةِ والانفعالِ والخيال، ضمنَ أُطُرٍ خاصةٍ به في التفكيرِ والفهم، صاغها ضمنَ منطقٍ وإطارٍ تشكيليّ مميز.
لن أخوضَ هنا في تفاصيل لوحاتِ منيف عجاج لوحةً لوحة، فهذا بحثٌ طويلٌ وشاق. لكنَّ ما أستطيعُ قولَه: إنَّني وأمامَ كلِّ لوحةٍ من لوحاتِ هذا الفنانِ المعطاءِ أجدُني أمامَ مشهدٍ أو فصلٍ جديد من فصولِ رائعةِ جورج أورويل "مزرعةُ الحيوانات".

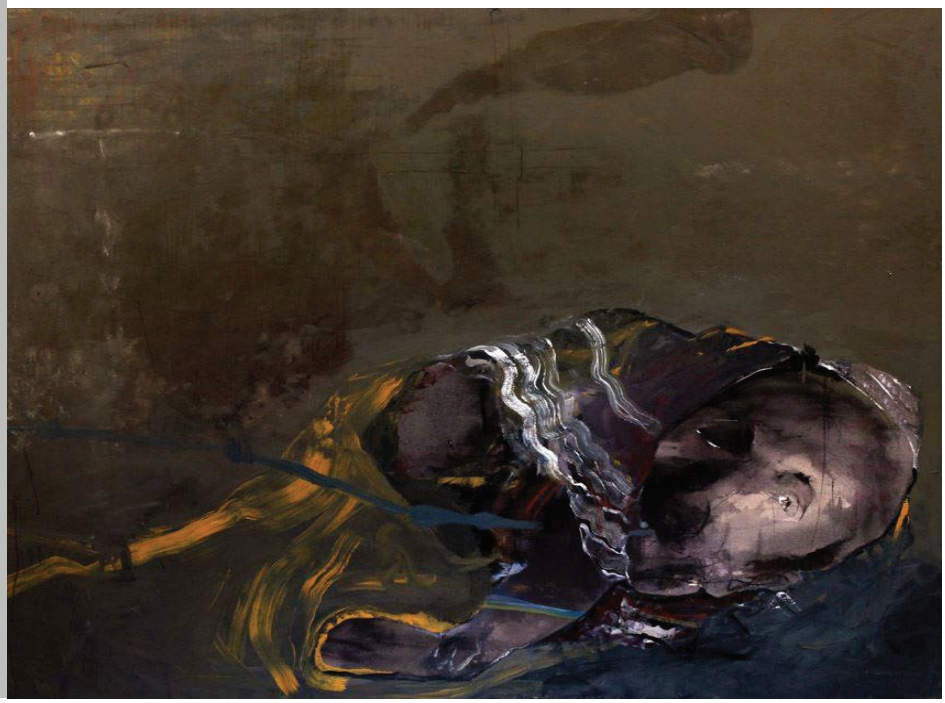

*«Tears of Blood»

تتسم لوحات جواسايامين بالتعبير عن الألم والتعذيب والفقدان، والمعاناة البشرية أثناء الحرب. كان يرسم متجاوزاً حدود أمريكا اللاتينية ليصل إلى العالم كله بمعاناته.. قد تبدو العديد من أعماله كئيبة للوهلة الأولى، عبارة عن وجوه ملتوية بعيون اتسعت في رعب وذهول. هي معاناة السكان الأصليين على أيدي المستعمرين الإمبرياليين، والحرب الأهلية، والإبادات الجماعية، والصراعات الدولية...

رفض جواسايامين أن يغض الطرف عن الألم، فصور المعاناة، وبين أيضاً كل من لديه رحمة إنسانية. يرى أن البشرية مُوحدة بدون حدود، لكنها تلحق الخيبة ببعضها بعضاً.

كما نجد أن الزخارف والمواضيع المتكررة تميز أغلب أعماله، مركزاً على الأيدي ـ بشكل خاص ـ كأدوات للعمل والعاطفة...

بقلم: ديالا

***«Tears of Blood» *1973 By: Oswaldo Guayasamín *(July 6, 1919, Quito, Ecuador – March 10, 1999, Baltimore, Maryland, United States) was an Ecuadorian painter**

الدراما السورية

دراما المستوى الأول.. المستوى السطحي

عماد نجار*

منذ انطلاقةِ الموسم الدراميّ الرمضانيّ شكّلت أعماله، والسوريةُ منها على وجهِ الخصوص، مادةً طغت، إلى أن غدت الأكثَر وضوحاً وتداولاً، ليس فقط على القنواتِ الأرضيّةِ والفضائية، بل وعبرَ شبكاتِ التواصل الاجتماعيّ. وذلك لما للدراما السوريةِ من حظوةٍ ومكانةٍ لدى السوريين والعرب، مكانةٌ رسّختها جملةٌ من الأعمالِ التلفزيونية الهامة التي لم تبقَ رهينةً للتلفزيون الرسميّ المحليّ، بل تجاوزت الحدودَ فغزت المحطاتِ التلفزيونيةَ العربية الأخرى الأرضية منها والفضائية، الخاصةِ منها والرسمية.

فهل استطاعت هذه الأعمالُ ملامسةَ المأساةِ السوريةِ المستمرة منذ ما يقارب الأربعةَ أعوام، أم أنّها بقيت مرتهنةً لإطارِ الاستهلاك الذي لطالما برّزَه القائمون على هذه الصناعةِ بتجاذباتِ العرض والطلب، والتي يلعبُ فيها المعلن التجاريُّ الدورَ الرئيسيّ؟

لا شكَّ أنَّ نسبةً كبيرةً من الجمهورِ العربي تنتظر رأيَ الفنانين السوريين عبرَ أعمالهم الدرامية لتُحددَ موقفَها مما يجري من أحداثٍ داميةٍ في سورية، أحداثٍ بدأت حراكاً شعبياً سلمياً لنيلِ الحقوق المستلبة منذ أكثرَ من أربعةِ قرون، ما لبث النظامُ أن استطاع تهميشَه لصالحِ نزاعٍ مسلحٍ افتعله هو، لا بل وكتب سيناريوهاتِه وتطوراتِ أحداثِه على طريقة الدراما السورية، ليتصلَ إلى ما وصلت إليه.

لقد دفعَ النظامُ الشعب السوريَّ إلى حمل السلاحِ مرغماً بعد عددٍ من المجازر المؤيدةِ بفيديوهاتٍ طائفية تهدفُ إلى إذكاءِ الفتنة، ليفلت بعد ذلك العقال من يده، وقد احتدم النزاع وأخذ شكلاً إقليمياً، خاصةً بعد تدخُّل عددٍ كبيرٍ من القوى الطائفيةِ الشيعية، في مقدمتها حزبُ الله اللبنانيّ وأبو الفضل العباس العراقيّ.

وفي المقابل استقبل الثوارُ السوريون أعداداً، ممن سُمّوا بالمهاجرين أتوا لنصرةِ الحقّ، ثمّ ما لبث الثوارُ أن اكتشفوا أنَّ هؤلاء ما هم إلا حصانُ طروادة أدخله النظامُ ليُعيد السيطرةَ من خلاله على المناطقِ المحررة. وهنا تبرزُ داعش التي ما تزالُ تُتابع تقدُّمها في الأماكن المحررةِ لتعيدَ استلابها من محرّريها أبناءِ المناطقِ الأصليين.

جميعُ المعطيات السابقة تجاهلتها الأعمالُ الدرامية الرمضانية السورية، فإذا ما استثنينا (قلم حمرة) العمل الذي قدّم جملةً من الأفكارِ والمقولات الفلسفيةِ الجميلة رغمَ ابتعاده عن دوامةِ المأساة السورية، فإنّ العملَ الوحيدَ الذي تمَّ تسويقه في الكواليس كعملٍ ثوريّ – كونَه كسرَ سقفَ الرقابة التي أُنتجت تحتَه الأعمالُ الأخرى واستعان بفنانين محسوبينَ على الثورة رغمَ أنَّهم لم يقدّموا لأجلها أكثرَ من كلماتٍ متفرقة أقربَ إلى الحياد الإيجابيّ منها إلى الرأي الثوريّ – فحتى هذا العمل، وهو "حلاوةُ الروح" لم يرقَ إلى مستوى الحدثِ السوريّ العظيم. فنجد أنَّ المسلسلَ يقدّم أفكاراً متناثرة لا ترتبط برباطٍ منطقيّ، ولا تُناقشُ ما يجري إلا على المستوى السطحيّ الأول، المستوى نفسِه الذي قدَّم النظام السوري من خلاله لجماهيره المؤيدةِ أعمالاً تعرَّضت للظرفِ السوريّ الراهنِ، وإن كان من زاويةٍ مختلفةٍ. فبعيداً عن عددٍ غيرِ قليلٍ من الأعمالِ التي لا تأتي على ذكرِ الواقعِ السوري الراهن، لا بالتلميح ولا بالتصريح، نرى على سبيل المثال مسلسلَ "بقعة ضوء" العمل الذي تنتجُهُ شركة "سما" (سورية الدولية سابقاً) العائدةُ ملكيتها لمحمد حمشو، وهو من المقربين إلى النظام السوري، بل ويقال إنه مجرد واجهةٍ للمالك الحقيقيّ للشركةِ ماهر الأسد شقيقِ رأسِ النظام، نرى في إحدى لوحاتِ هذا العمل كيف يتوالى على إحدى المناطق السورية المحررة عددٌ من القوى تفرض كلُّ واحدةٍ منها سلوكاً اجتماعياً خاصاً، وزياً خاصاً يتناسبُ مع مرحلة زمنية معينةٍ من تاريخ المنطقة، رجوعاً إلى العصر الحجري.. هكذا وبهذه الوقاحةِ يقدّمُ صناعُ العمل القشورَ جاعلين منها مادةً للفكاهة، متناسينَ آلامَ الشعب السوريّ معاناته المستمرةِ في ظلِّ المجزرة، ومتناسينَ أنَّ هذه القوى ما كانت لتوجدَ وتفرضَ سيطرتها على الأرض لو أنَّ في البلاد جيشاً وطنياً يحمي حدودها وشعبها. وإن كان هذا التناسي بحدِّ ذاته يشكلُ جريمة وطنية، فإن أعمالاً أخرى، مثل "باب الحارة"، جاوزت هذا الحدَّ لتعيد تشكيلَ التاريخ السوري برؤيةٍ تتناقضُ مع كلّ

اختطاف الأجانب:
هل هو للحصول على فدية أم لسبب آخر؟

كرم الحلبي

الوثائق التاريخية، بل إنها تتناقضُ حتى مع الرؤية التي قدمها العمل نفسُه خلال أجزائه السابقة. كل ذلك عبرَ إسقاطاتٍ مبتذلة، وأحداثٍ مصطنعة تطعن ل يس فقط في مصداقيةِ العمل، بل وحتى في بنائه الدراميّ الذي ازدادَ رداءةً عن الأجزاء الخمسةِ السابقة..

كيف حدثَ هذا؟ ولماذا؟

لطالما سوَّق لنا القائمون على "باب الحارة" خلالَ الأعوام الثلاثة الماضية أنَّهم ضدَّ النظام السوري في جلساتٍ بعيدةٍ عن الإعلام، فما الذي يجعلهم يقدمون رواية لا تخدمُ إلا النظام، وإن كانت لا تفعلُ ذلك إلّا في أُطرٍ ضيقةٍ بسبب رداءةِ العمل. هل للجهة المنتجةِ التابعة لدولةٍ من المفترضِ أنها تقف مع الشعب السوري في ثورته دورٌ في ذلك؟

ليس كلُّ من قال "أنا أؤيد ثورةَ الشعب السوري" صادقٌ في مقولته سواءً كان دولة أو جهة أو فرداً، ولعلَّ أخطرَ المطباتِ التي وقعت فيها ثورتنا هو قراءةُ الأمور على المستوى الأولِ، المستوى الظاهريّ، وهذا النوع من القراءةِ هو تماماً ما روَّجت لها الأعمالُ الدرامية السورية خلال الموسمِ الحاليّ سواءً وعى القائمون عليها ذلك أم لم يعوه.

* ممثل ومخرج سوري
مقيم حالياً بفرنسا

في أواخرِ شهرِ رمضانَ الماضي أقدمَ حوالي عشرينَ مسلحاً على خطفِ الناشطتين الإيطاليتين "Vanessa Marzullo" و "Greta Ramelll" في بلدةِ الأبزمو التابعة لمدينةِ الأتارب بريفِ حلبَ الغربيّ، وتمّ اقتيادُهما إلى جهةٍ مجهولة!

أتتِ الناشطتانِ إلى حلبَ من أجلِ تقديمِ الدعمِ اللازمِ لإصلاحِ أبارِ المياهِ التي حُفِرَت في المناطقِ المحررةِ، وذلكَ بسببِ انقطاعِ المياهِ لفتراتٍ طويلة.. ومن ثمَّ توجهَتا إلى ريفِ حلبَ الغربيّ، حيث كان مقرراً ذهابُهما إلى محافظةِ إدلب لتقديمِ المساعداتِ اللازمةِ إلى المحتاجينَ هناك.

يُذكرُ أنَّ الناشطتين لا تنتميانِ إلى أيَّةِ منظمة، بل يقتصرُ عملهما على جمعِ التبرعاتِ في إيطاليا وتقديمِها كمساعداتٍ للمدنيين في سوريّة!

وقد توقعَ بعضُ الناشطين أنَّ مثلَ هذا الخطفِ يُعتبرُ خطفاً لطلبِ الفديةِ وليس خطفاً آخرَ، حيث وجَّهوا نداءاتٍ للحدِّ من هذه الحالاتِ الشاذّةِ، سواءً كان الاختطافُ لناشطين سوريين أو لأجانبَ، مطالبين أيضاً بحمايةِ جميعِ الناشطين في المناطقِ المحرَّرة.

منع عرض فيلم "سماء مفتوحة" في مهرجان ميانمار *

في مهرجان أفلام "حقوق الإنسان كرامة إنسانية" الثاني الذي أقيم في (يانجون) عاصمة جمهورية ميانمار بين الخامس عشر والتاسع عشر من حزيران عام ألفين وأربعة عشر، عُرض سبعةٌ وستون فيلماً، بما في ذلك اثنان وثلاثون فيلماً محلياً مكرساً لأيقونة الديمقراطية أون سان سو تشي، والسجين السياسي الراحل أو وين تين المعتقل لأطول فترةٍ زمنية في البلاد.

الحدث الأهمُّ في المهرجان هو إلغاء عرضِ الفيلم الوثائقيّ القصير "سماء مفتوحة" في اللحظة الأخيرة؛ والذي يروي حكاية صداقةٍ تجمع امرأةً بوذية وأخرى مسلمة، مركزاً على علاقة المحبةِ والتعاون المشترك والحمايةِ والكرم التي تجمع الجارتين على اختلاف ديانتهما.

قرّر منظمو المهرجانِ إلغاء عرض الفيلم بعد تلقيهم – عبر الإنترنت – تهديداتٍ بحرق قاعة العرض، وقتلِ مدير المهرجان، وشنّ أعمال عنفٍ أخرى، إذا عُرض الفيلم؛ حيثُ وُصفَ بأنَّه جزءٌ من مؤامرة مسلمة تهدف إلى الهيمنة على ميانمار ذات الأغلبية البوذية؛ ما دفع مين هتين كوكو كشي – أحد منظمي المهرجان – إلى توضيح أسباب الإلغاء في مقابلة له مع قناة الـ "بي. بي. سي." الناطقةِ باللغة البورمية: "لم يكن مهرجانُ الأفلام يهدف لخلقِ أيّ نوعٍ من النزاعات، ولا يمكنني السماح للنزاعات والكراهية بأن تنتشرَ بين الناس، وبما أنّه لم تكن هذه هي نيتُنا، فقد قررنا إلغاءَ العرض". ولمّح أيضاً إلى أسباب خضوعِ المنظمين لضغوطاتِ المجموعات المناهضةِ للمسلمين، قائلاً: "ليس لديّ أيُّ تعليق فيما يخصُّ خطاب الكراهية، لأنَّ بلدنا في وضعيةٍ حساسة. هناك أيضاً أشخاصٌ يريدون خلقَ النزاعات، ونحن لم نُجرِ هذا المهرجان لخلق النزاعات. إذا كنت سأختار بين السمعة الجيدة لمهرجاننا بعد عرض الفيلم الممنوع أو سمعةِ بلدنا، فسأختار طبعاً سمعةَ بلدنا التي تمرُّ بظروفٍ خاصة". لكنَّه – مع ذلك – دافعَ عن الفيلم ومدح فكرته.

في حين صرَّح ديفيد سكوت ماثيسون – من منظمة هيومن رايتس ووتش – بأنَّ إلغاء الفيلم أفسدَ نجاح مهرجانٍ اختار بشجاعةٍ حقوقَ الإنسان موضوعاً رئيسياً له، قائلاً: "لو عُرِض لأظهرَ المهرجانُ التزاماً بمواجهة قوى الانقسام والكراهية، لكنَّ ردود فعل بعض البورميين أثبتت أيضاً أنَّ طريق النضال مازال طويلاً أمام العمل من أجل احترام الحقوق في بلدهم". بينما دافع سفير الولايات المتحدة دارك ج. ميتشل، الذي كان حاضراً في المهرجان، عن حرية التعبير مشيراً إلى التهديدات التي وصلت المنظمين عبر الإنترنت: "سيكون هناك دائماً أولئك الأشخاص الأقل شجاعةً الذين يشعرون بالتهديد من خطاب لا يتوافقون معه أو حكايةٍ لا تطابق أحكامهم المسبقة. هذه العقلية الضيقة والمتخوفة تتعارض مع كل ما يمثله هذا المهرجان. على كل فردٍ يُثمّنُ معنى هذا الحدث أن يقاومَ استعمال التهديد والترهيب لقمع التعبير والتحرُّش بالفنانين. تمثّل هذه الواقعة آخرَ تجلٍ للتصاعد المقلق في وتيرة التعصب الدينيّ في ميانمار. إذا كان لفيلم عن الصداقة أن يثيرَ، وبكل سهولة ردودَ أفعال معادية، فماذا عن مبادرات سياسية أخرى مثل الاندماجِ والعلمانية وعدم التمييز؟"...

يذكر أن عدَّة مناطقَ في ميانمار قد شهدت في السنوات الأخيرة موجةً من التطرف الدينيّ البوذيّ ضدَّ الأقلية المسلمة هناك، ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين الأبرياء. ويأتي هذا الفيلم بعد أعمال العنف الطائفي التي عصفت بمدينة مايكتيلا العام الماضي؛ ومن ثم انتشرت في مدنٍ أخرى وسط ميانمار مخلفةً مئاتِ القتلى!

* بتصرف من موقع "اصوات عالمية"

فخ عين العرب

ياسر الحجي

خلالَ الفترة الماضية من عمر الثورة تشابكت العلاقاتُ الإقليمية والدولية بشكلٍ كبير، وتغيَّرت الكثير من المواقف السياسيّة، حيثُ ظهرت المشاكل بشكل جليٍّ وواضح بين قطر ومصر والسعودية والإمارات، وكذلك الخلافُ المصري التركي.

لقد كانت صورة الرئيس التركيّ الحالي وهو يرفع يدهُ بشعار "رابعة" تمثِّل رأياً واضحاً بنظام السيسي. والآن تحاولُ هذه الدول ومعها الولايات المتحدة الأمريكية إيقاعَ تركيا في فخِّ عين العرب (كوباني)، ودفعَها للتدخل مستخدمةً جنودها. لكنَّ تركيا واعيةٌ لذلك، فهي لن تفعلَ ذلك لوحدها، إذ اشترطت عدةَ أمور مقابلَ التدخل.

كوباني أو عين العرب أصبحت مكاناً للجميع: من الـ "بي. كي. كي."، إلى المسلحين الأكراد الآخرين، إلى التحالف الدولي.. الكلُّ يريد أن يخرجَ من تلك الأزمة رابحاً دون أن يدفعَ الثمن!

في النهائية إذا سقطت عين العرب بيد "داعش" أو لم تسقط، سيكون الخاسرُ الوحيد همُ المدنيون الأكراد، وقد تنتخي الإنسانيةُ قليلاً لدى بعضهم ليقدِّموا المساعداتِ للأكراد الخارجين من عين العرب؛ لكنَّ خسارةَ الـ "بي. كي. كي." وداعش للمقاتلين تسعدُ الكثيرين ...

الفنان هاني عباس

تصدر عن

حلب - سوريا

مركز الشمال والجنوب
للدراسات الاستراتيجية

South& North For Stratigic studies

SNSS

الشمال والجنوب للدراسات الاستراتيجية